مؤتمر

الهوية الإسلامية وسبل المحافظة عليها

31-10-2019 م

وحدة الهيئات النسائية

جانب من الحضور

برنامج المؤتمر

برنامج الإفتتاح 8.45 – 10.00

استقبال الضيوف 8.45-9.00

قرآن كريم

كلمة م. وحدة الهيئات النسائية الحاجة عفاف الحكيم

كلمة راعي المؤتمر رئيس المجلس التنفيذي سماحة السيد هاشم صفي الدين

استراحة فطور: 10.00-10.30

الجلسة الأولى : واقع الهوية الاسلامية في مجتمعاتنا المعاصرة 10.35-11.35

1. هوية الأمة والمخاطر المحدقة بها في رؤية الإمام الخامنئي (دام ظله).

حجة الاسلام والمسلمين سماحة الشيخ محمد حسين مهدوي مِهر

(ممثل جامعة المصطفى "ص" العالمية – فرع لبنان وسوريا-) .

2. الثورة الإسلامية الإيرانية ودورها في إرساء الهوية الإسلامية للأمّة.

السيد عباس خاميار (المستشار الثقافي للجمهورية الاسلامية الايرانية في لبنان).

3. أبعاد التمسك بالهوية الإسلامية والمحافظة عليها في عصر العولمة والحداثة.

سماحة الشيخ حسن حمادة (عضو المجلس المركزي في حزب الله) .

استراحة صلاة 11.35-12.00

الجلسة الثانية: التحديات المعاصرة التي تواجه الهوية الاسلامية 12.05-1.05

1. المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية.

د. حسين رحّال (استاذ جامعي)

2. تذويب الهوية الإسلامية وضرب مقوماتها من خلال إشاعة أجواء الفساد والإنحلال الأخلاقي خاصة لدى الشباب.

د. سحر حمود (استاذة في علم الاجتماع)

3. تشويه صورة الإسلام تحت عناوين متعددة المرامي والأهداف – الحركات التكفيرية–.

د. أحمد الشامي (باحث اجتماعي واستاذ جامعي)

الجلسة الثالثة: بناء استراتيجية المحافظة على الهوية الإسلامية 1.10- 2.30

1. تأصيل مركزية الأسرة في المجتمع وترسيخ وظائفها الأساسية وفق النموذج الإسلامي.

فضيلة الشيخ يوسف سرور (مدير مركز التوجيه والإرشاد الأسري)

2. الإرتقاء بوسائل الإعلام الإسلامية في مختلف برامجها لتقديم الصورة الناصعة للهوية الاسلامية.

د. عباس مزنر (استاذ جامعي)

استراحة غداء 2.35-3.00

إعلان البيان الختامي

✓ أهداف المؤتمر:

- تبيان واقع الهوية الاسلامية في مجتمعاتنا المعاصرة.
- تسليط الضوء على التحديات المعاصرة التي تواجه الهوية الاسلامية.
- كيفية بناء استراتيجية المحافظة على الهوية الإسلامية.
- إرساء التوصيات المناسبة للعمل عليها.

الإفتتاح بالنشيد الوطني اللبناني ونشيد حزب الله

إفتتاح المؤتمر

✓كلمة مسؤولة وحدة الهيئات النسائية الحاجة عفاف الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على اشرف الخلق وسيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين..

بداية أرحب براعي مؤتمرنا رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله سماحة السيد هاشم صفي الدين حفظه الله وسائر العلماء الأفاضل والأساتذة المحترمين المشاركين في فعاليات هذا المؤتمر. وبكافة من شرفنا بالحضور من سائر المناطق والمؤسسات الثقافية والإعلامية والاجتماعية والتربوية والمعاهد النسائية.

أهلاً وسهلاً بكم جميعاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الموضوع الذي أخترناه لمؤتمرنا هذا العام هو(الهوية الاسلامية وسبل المحافظة عليها). وذلك لما يحمله من خصوصية وأهمية وأبعاد.

إن على صعيد الفرد أو المجتمع ككل أو الامة.. باعتبار أنّه كما للفرد هوية يتميز بها فكذلك للمجتمع هوية وللأمة ككل هوية تميزها عن غيرها من الأمم الأخرى وحيث نجد أن هوية الأمة تعرّف بأنها ذاتها ووجودها. وهوية الفرد بأنها حقيقته وجوهره والبصمة المميزة لكل ما يحمله أو يوصف به من صفات روحية وفكرية واخلاقية واجتماعية..

وأنّه من هنا يأتي القول بأنّ المقصود بالهوية بشكل عام هو مجموع الصفات والسمات وطرائق العيش والتاريخ الذي تمتلكه كل أمة أو جماعة في تميزها عن غيرها، بحيث أنّ هذه الهوية التي تمثل حقيقة الشيء أو حقيقة الشخص المشتملة على صفاته الجوهرية إذا اهملت وطمست معالمها... فإنّ ذلك يؤدي إلى ضعفها وذوبانها تلقائياً في ثقافة الغير وبالتالي يؤدي إلى سرعة الهيمنة عليها وتفتيتها عن طريق تدمير البنية التحتية لهويتها العقائدية..

وعليه فإنّ تركيز قوى الاستكبار على تغيير الهوية الثقافية للأمة الاسلامية تحديداً هو لأنها إذا فقدت هويتها ستفقد كل مقدراتها وتصبح من ثم طعماً سهلاً بعد إفراغها من محتواها..

خصوصاً وأنّ الخطر الاكبر الذي بات يلف العالم ويتهدد الأمم والشعوب في هذه المرحلة هو هذا الخطر الذي يمس الهوية الثقافية والشخصية التاريخية للمجتمعات الإنسانية.

هو هذا الخطر الذي تحول في أيامنا إلى ظاهرة نعمل على اجتياح مناطق شتى من العالم بهدف محو الهويات ومحاربة التنوع الثقافي وذلك من خلال انسلاخ الأمم والشعوب عن مقوماتها.

وقد رأينا كيف تعرضت في القرنين الأخيرين هوية العديد من البلدان الاسلامية إلى اختراقات عنيفة من قبل تلك القوى وكادوا أن يغيروا الكثير في العديد منها كالجزائر والمغرب العربي وغيرها بحيث حاولوا أن ينتزعوا من تلك الشعوب لغتهم العربية التي هي لغة القرآن.. وجهدوا منذ ذلك التاريخ في جعل اللغة العربية هي اللغة الثانية بعد اللغة الفرنسية.

وفي إيران فرض الحكم البهلوي نزع حجاب المرأة الملتزمة بالقوة وصبّوا جهودهم في هذا الاتجاه.. لكن المخطط لم ينجح بسبب مقاومة الشعب الإيراني وتمسكه بهويته الدينية...

كما نجد أن نفس هذه السياسة لجهة الحجاب وأمور اخرى.. اتبعها الاستعمار البريطاني عبر اتاتورك وأدواته في تركيا العثمانية... كما عمدوا إلى تحوير اللغة المكتوبة لديهم من الحروف العربية إلى الكتابة بالحروف الإنكليزية والهدف الاطاحة بمعالم الهوية الاسلامية في مجتمعاتنا.. إضافة إلى محاولات أخرى جرت في لبنان والعراق وسوريا ومصر.. وقد نجحت بعض الحالات وأخفقت أخرى بسبب مقاومة الشعوب، وإلى أن وصلنا اليوم إلى هذه المساعي الخبيثة والحثيثة الداعية إلى ذوبان الخصوصيات الثقافية وذوبان التقاليد والاعراف لدى سائر الأمم والشعوب وصولاً إلى التفلّت من سائر القيم والاندماج في إطار النموذج الامريكي الذي نادى به الرئيس الامريكي كلينتون يوم تمّ تنصيبه رئيساً لأمريكا عام/1993 وحيث قال:**(إن امريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري. وإننا نستشعر أن علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم إلى صورتنا).**

ومن قبله أيضاً قال الرئيس نيكسون**(أن على امريكا أن تقوم بدور ريادي في العالم لنشر افكارها ومبادئها وتكون مثلاً يحتذى بين دول العالم).**

وإلى هذا أيضاً قالت صحيفة احرونوت اليهودية بتاريخ/1978/2/8 كاشفة عن ترابط هذا الأخطبوط العالمي. **(ان على وسائل اعلامنا أن لا ننسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية اسرائيل في حربها مع العرب. هذه الحقيقة هي اننا نجحنا بجهودنا وجهود اصدقائنا في ابعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً.**

ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد.. ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل وبأي اسلوب. ولو اقتضى الأمر إلى الاستعانة بأصدقائنا. لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الاسلامية في المنطقة المحيطة بنا).

وهكذا بدأ عالمنا يعيش صراعاً حاداً على هذا الصعيد، وهذا الصراع بات اليوم التحدي الأكبر الذي يواجه المجتمع الإنساني برمته. لأن استفحاله وتصاعد وتيرته سيؤدي إلى ذوبان الخصوصيات الثقافية وذوبان التقاليد والاعراف لدى سائر الأمم والشعوب وذلك

وصولاً إلى تحقق الهدف النهائي الذي ترمي إليه وهو اخضاع العالم لمنطق القوة والهيمنة والسيطرة تحقيقاً لغاياتها الذاتية..

وقد اكد الامام الخامنئي دام ظله في حديثه للمشاركين في المسابقات الدولية للقرآن الكريم:

[ان الرجوع إلى القرآن الكريم وتعزيز الهوية الاسلامية كفيل بتسوية مشاكلنا.. مبيناً أن الكثير من الدول الاسلامية اليوم تفتقر للهوية الاسلامية. ورغم أن شعوبها تؤدي الفرائض من صلاة وصيام. ولكن افتقارها للهوية الاسلامية سمح للأعداء بالتدخل في ثقافتها وعقائدها وسياساتها وعلاقاتها الاجتماعية ومكنهم من اثارة الحروب].

ويبقى أن مفهوم الهوية هذا يعدّ من أكثر المفاهيم تغلغلاً في عمق حياتنا الثقافية والاجتماعية اليومية، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا البعد في مجال التركيز على فاعلية الهوية الدينية في قوله تعالى في سورة يوسف/102.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً}

وقال تعالى في سورة البقرة/31**{ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا...}**

نعم حتى يردونا عن ديننا... هذا هو مشروعهم وطموحهم... فالغرب عامة يعلم أنّ الإسلام هو البديل الحضاري الأوحد لثقافتهم وحضارتهم، هو البديل الذي يمكنه أن يملأ الفراغ الذي تعانيه الحضارة الغربية اليوم... لذا يطالبنا كتاب الله تبارك وتعالى في أكثر من آية بالإعداد والاستعداد.

يطالبنا بالنهوض إلى مسؤوليتنا، بالنهوض إلى تربية النشئ على التمسك بالهوية الإسلامية... التربية التي تؤصّل وتربط الأجيال بتاريخها ولغتها وعقيدتها وتغرس معاني العزة والافتخار بانتمائها للإسلام.

تربية تعمل على توفير سائر المستلزمات التي تؤدي إلى إنشاء مراكز ابحاث ودراسات وتعمل على تحصين المجتمع المسلم من الغزو الذي يستهدف تذويب الشخصيات وطمس الهويات... مجتمع يسعى جاداً من أجل رفع مستوى العناية بلغتنا التي هي لغة القرآن وصولاً إلى تعليمها وحفظها وتربية النشئ على حبها...

✓كلمة راعي المؤتمر رئيس المجلس التنفيذي سماحة السيد هاشم صفي الدين

الأخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، في البداية أتقدم بالشكر الجزيل الى الحاجة الفاضلة الحاجة عفاف الحكيم مسؤولة وحدة الهيئات النسائية، ومن سائر الأخوات الكريمات ولكلّ من عمل على انجاز والدعوة لهذا المؤتمر.

وكما تعودنا في كلّ عام هناك مؤتمر وهناك عنوان يطال جوانب مهمة تحتاج الى بحث دائم، وأشكر الجميع على كل هذه الجهود، وأسأل الله تعالى أن نخرج كما هو المطلوب عادة بنتائج وإضاءات تساعدنا في هذا المسار الطويل في مواجهة أعداء الله، في مواجهة التحديات الصعبة وفي مواجهة التعديات الثقافية الخطيرة التي تدخل الى ساحتنا بشكل دائم ويجب أن نتعامل معها بعلم وفهم ومسؤولية.

يقول الله تعالى في محكم كتابه: (ومن أحسن قولا من دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنّني من المسلمين)

موضوع الهوية الدينية هو موضوع مرتبط بكلّ المفاهيم الدينية التي ننتمي إليها، هذه المفاهيم التي تبني الشخصية، كما أنّ هذا الموضوع مرتبط بكل ما هو محيط بالإنسان، يعني تكوّن الهوية هو في الحقيقة بحسب الواقع الخارجي ليس نتاج الفكر فقط، أو الإنتماء النظري فقط، إنما هو خليط

بين ما هو مطلوب فكريا ونظرياً وعقائدياً وبين العوامل المؤثرة في التاريخ والواقع والظروف منها الإجتماعي ومنها السياسي.

اذن إنّ بحث الهوية الدينية هو بحث عميق، واسع، يجب أن يفهم من جوانب عديدة لنعرف أين هي المشكلة؟ اذا كنا نبحث عن المشكلة، وأين هو المطلوب؟ اذا كنا نريد أن نحفظ هويتنا الدينية الإسلامية.

ولأنّ الهوية هي خلاصة، خلاصة الإنتماء في الأبعاد العقائدية وغيرها، وهي خلاصة الشعار الذي يرفعه الإنسان المسلم "وقال إنّني من المسلمين" ، فمن هذه الهوية نجد أنّ هناك ثوابت لا تتحمل التبدل ولا التعديل، وهناك أمور تتبدل حسب الأوضاع وبحسب الأزمنة والظروف، نتحدث عن التبدل والتغير هنا باعتبار أنّ المكونات الخارجية للهوية عادة لا تنفصل عن كل هذه المؤثرات.

الثابت كما المتغير في تحديد الهوية الدينية، يخضعان لنقاش نظري ولمفردات على مستوى التطبيق والتشخيص.

الهوية الدينية الإسلامية على المستوى النظري هي محسومة ومحددة في البعد العقائدي ومتفق عليها بين جميع المسلمين ولا نقاش او خلاف في ذلك، يعني بحسب الأصول والمدوّن والمكتوب عند كل المسلمين، يعني الإيمان بالله وبالغيب وبالتوحيد، الإيمان بنبوة رسول الله (ص) والعقائد الأساسية والأصول الاساسية التي أجمع المسلمون على وجودها وعلى تحققها حتى تتحقق هذه الهوية في نواتها الأولى، من تشهد الشهادتين أصبح مسلماً، الا أن المؤسف في البعد العقائدي أن – سنتحدث الآن في البعد النظري ومن ثم أنتقل الى الجانب التطبيقي– المؤسف أنّ الذي فتح ابواب الإجتهاد طوال التاريخ على مدى كل القرون السابقة، فتح أبوابا غير حميدة وسيئة وأحياناً خبيثة وقبيحة جدًا، هو حينما يكون باب الإجتهاد مفتوحاً الى كل مجالات الأمور الإعتقادية يعني ذلك أنّه سيمسّ جوهر هذه العقيدة وسيمسّ هذه النواة الصلبة في تكوّن الهوية الإسلامية.

ودخلت أفكار وفلسفات من الجماعات التي دخلت من بلاد الإغريق أو من خلال السياسات الظالمة والجائرة التي أرادت أن تفرض على الهوية العقائدية أن تخدم مصلحة الحاكم والمتسلط، على سبيل المثال مفهوم الجبر، أن الإنسان مجبر، وهذا كان يستخدمه الحكام لتثبيت حكمهم وسيطرتهم وهيمنتهم وبعض المسلمين وربما غالبية المسلمين كان يعتقد في ذلك الوقت بالجبر، وأن الحاكم يحكم بما أنزل الله حتى لو كان سيئًا أو ظالمًا لأنّ الله عز وجل أراد لنا هذا الأمر.

الانحرافات العقائدية، منذ بدايتها وظهورها الى يومنا هذا يجب أن لا نستهين بتأثيرها على تكوين الهوية، الانحرافات الخاطئة والفاسدة بغض النظر أيضاً عن أسبابها وخلفياتها، هذه الإنحرافات العقائدية دخلت الى الثقافة والى الفكر، على المستوى النظري. وهناك أفكار ونظريات – لسنا بوارد أن نذكرها وهي كثيرة جدًا– أنتجت هذه الإنحرافات ويلات كثيرة للمسلمين، على مستوى الفهم النظري والى يومنا هذا ما زالت موجودة وحاضرة بقوة، وأحيانا تأثيراتها لا يُلتفت إليها، كما هو حال الكثير من الأبحاث التي تُدرّس في الجامعات، أو كما هو حال الكثير من النقاشات التي تدور حتى في الدائرة الخاصة للعلماء المسلمين أو الذين ينتمون الى الفكر الإسلامي، هذا في الجانب الإعتقادي نظرياً.

أما في الجانب غير الإعتقادي فحدّث ولا حرج، نجد أن الإختلافات في الآراء كثيرة جدا فهي لا تعدّ ولا تحصى، وقد يكون هذا بحد ذاته ليس هو المعضلة، يعني أن يكون هناك خلافات واختلافات في الآراء على مستوى المفاهيم الحياتية والعادية والسلوكية، فهم المجتمع وما هو المطلوب، فقهيًا الإفتاء بالجواز أو عدم الجواز...

كثيرة هي المصاديق على المستوى الفقهي والفكري، فيها إختلاف كبير بين العلماء والفقهاء، أحيانا يوجد تفسير قرآن وأحيانا يوجد تحديد ما هو المطلوب وهذا موجود ولا يمثل بحد ذاته معضلة، المشكلة تكمن في الآراء الضعيفة والهزيلة التي دخلت الى هذا العالم:

- على المستوى المفاهيمي
- على المستوى العملي
- على المستوى السلوكي
- وعلى مستوى تحديد إتجاهات بناء الفرد والمجتمع، وهذا له نتائج خطيرة جدًا غزت مجتمعاتنا الإسلامية.

طبعًا أنا سأحاول أن أركز على الشق المتعلق فينا نحن كمسلمين، وأحببنا أن نقول أنّ موضوع الهوية ليس مرتبطا فقط بالهجمة الخارجية، الهجمة الخارجية في الحقيقة صفر على مستوى النتائج اذا كنا محصّنين داخليًا، كيف اهتزت الهوية من الداخل؟ وكيف فتحنا النوافذ والأبواب على مستوى العالم الإسلامي حتى غزانا هذا الغرب، وهذا الفكر المنحرف؟.

ما ذكرته الى الآن هو على المستوى النظري، أما على المستوى التطبيقي والعملي والإمتثال الخارجي فهناك خلط رهيب بين الحرية الشخصية للإنسان وبين الحرية في ممارسة الأحكام الشرعية

وتطبيقاتها، بدءًا من العبادة الى إلتزام كل المفاهيم الإجتماعية والقيمية المعنيين بها كأفراد وكمجتمع، وبين التحكم الناشئ من ثقافات وأنماط.

يعني في مجتمعاتنا الإسلامية في كل العالم الإسلامي هناك منظومات موجودة، كيف وُجدت بحث آخر، هي تتحكم في فرض أنماط ونماذج خاصة الى حد أنّ الفرد المؤمن أصبح ضائعاً ما بين ما هو مرتاح له على مستوى التطبيق وبين ما هو غير مرتاح له.

كما معلوم أنه حينما تختلط الأمور الى هذا الحد، تجر الإنسان المؤمن والمسلم في تحديد هويته على مستوى الممارسة الى حالة من الضياع والتأرجح والى حالة محيّرة، فيصبح الإنسان في مواجهة الآخرين أكثر ضعفاً وهزالة، هذا الخلط جعل الهوية الدينية عرضة لكثير من الإنتقادات داخل البيئة الدينية، وأدخلتنا في صراعات من المؤسف أحيانًا أن الصراعات على مستوى مفردات التطبيق تأخذ حيّزا كبيرًا بما يخرج النقاش والتحديد عن معناه الموضوعي المطلوب.

أحيانا أهل العلم يصبحون غير قادرين على التمييز بين ما هو الصحيح وما هو غير الصحيح نتيجة هذا الخلط وهو موجود بشكل فعلي وعملي.

اذن هذا الخلط بين الحرية الشخصية والتطبيق والإمتثال، المعرفة، التشخيص، كل هذه الأمور جعلت خلطاً غير طبيعي حتى تجد أنّ كثيرًا من المفردات ومن دون أن نذكرها، – حتى أنكم تعرفون الكثير منها – من يقول أنّ هذا الأمر حرام مثلا– الى هذا الحد وصل الإختلاف في المفردات على مستوى التطبيق الخارجي.

أنا أذكر أنّ أحد علمائنا كان دائماً يدعو الناس الى طريقة ونمط في التفكير، في يوم من الأيام وبعد مدة رأيته يتدخل كثيراً بالتطبيقات، وسألته وقلت له إنّ هذا تاريخك في العمل، العالم حرة بتطبيقها، لماذا نفرض تطبيق خاص أفهمه أو أنت تفهمه أو فلان يفهمه، طبعًا هذا الفعل ينتج حالة من التلبّك والتشكيك، ويعدم الحريات الشخصية وإن كانت الحريات الشخصية لها حدود.

حتى الله عز وجل حينما أمرنا بالصلاة قال لنا إنّ الصلاة في المسجد مستحبة وان صليت في البيت لا مشكلة، بعض الناس يقولون اذا لم تصلي في المسجد "لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد"، الفقه لم يقل إنّه حرام! وهذا لا يعني أن نقلل من أهمية المستحبات وهكذا...

يعني هناك تدخلات غير عادية في التطبيق،جعلت هذه الهوية عرضة لكثير من التساؤلات.

ما نشهده اليوم في عالمنا الإسلامي من تشظي في كل ما هو مرتبط بالدين، وما يعانيه المسلمون من ويلات، هذه الانقسامات كلها ضربت عميقًا بالهوية الدينية حتى اصبحت هويات ومناهج.

يعني اليوم عالمنا الإسلامي لا يوجد فيه هوية دينية واحدة، مع أنّ المسلمين هم أمّة واحدة وينتمون الى نبيّ واحد وقرآن واحد، ولكن تجد أنّ المسلمين أصبحوا هويات وسبلًا وفِرَق، لم يسلم منها أي مجتمع في أية دولة إسلامية، فكيف اذا أضفنا الى كل هذا وجود التطور المعرفي والتكنولوجي، والتواصل على مستوى كل العالم والمتاح لكل الناس، مما فتح الابواب وشرّعها أمام كل الأفكار الآتية من الخارج، ودخلت إلينا أفكار أمواج تتوالى بعضها بخلفيات وأهداف خبيثة وبعضها بخلفيات ساذجة وبسيطة، ولكن كلها أثّرت على هذه الهوية التي هي في الأصل ضعيفة نتيجة العوامل الداخلية.

والخلاصة أنّ ما يجب أن نعترف به لكي نعالج ما هو مرتبط بموضوع الهوية، يجب أن نعترف أنّ هناك أزمة ومشكلة في الهوية الدينية على مستوى المسلمين عموماً، وأنّ عالمنا الإسلامي يشعر بكثير من الضعف تجاه المجتمعات الأخرى لأسباب داخلية.

العلماء والمفكرون والعاملون في الشأن العام وظيفتهم أن يعملوا على معالجة هذه الأزمة، هذا لا يعني أنّنا يائسون، بالعكس، هناك نماذج عظيمة ومهمة في عالمنا، في بيئتنا، في الجمهورية الإسلامية، في العالم الإسلامي وفي بيئتنا المقاومة، قدّمت كل هذه النماذج أنماطًا وطرقاً وسبلاً وكانت قوية وصلبة وعالجت الكثير من المفردات.

أنا أتحدث عن الأزمة الموجودة في معظم العالم الإسلامي، نتيجة هذه التحديات الداخلية والخارجية، نحن لم نيأس ولا نيأس، بل هذا يدعونا الى مزيد من بذل الجهد والعمل والسعي، وهذا معنى "ومن أحسن قولاً من من دعا الى الله وعمل صالحا"، الدعوة الى الله العمل الصالح، الجهد، المواجهة، التحدي، هو من أهم الأمور التي يجب أن نستند إليها لمعالجة كل هذه المعضلات **وهذا يحتاج الى عدة أمور:**

✓ **أولا: تحديد المرجعيات :**

حينما تُفتقد المرجعيات يدخل المسلمون في عالم التيه والحيرة. لا بدّ من تحديد المرجعيات، وهذا ما لفت إليه رسول الله (ص) حينما قال: " إنّي تارك فيكم الثقلين..." وهذا من أجل تحديد المرجعية.

مفهوم الولاية عندنا وتجلياتها في ثقافتنا هي الأمان، وهي المرجع الصالح لتحديد ما هو مطلوب وما هو غير مطلوب، في زمن الغيبة الكبرى أيضا هناك مرجعيات فكرية وفقهية وعلمية، وفي موضوع الولاية الذي ننتمي إليه وأصبح جزءاً من هويتنا الدينية والعملية، لا بدّ أن تكون الولاية بأحد أبعادها وتجلياتها حاضرة في العالم وفي الوجود بين المسلمين، حين تضيع هذه الولاية عن الفعل والتأثير ونستند فقط الى مرجعية نظرية ومرجعية فقهية في الابواب المحددة تقليديًا –على مستوى الشيعة نتكلم، لأنّه على مستوى السنة والطريقة السنية هناك مصائب لا مجال لتداركها ولا مجال لاستيعابها أصلاً– في عالمنا الشيعي تحديدًا هناك مرجعيات مع التقدير والإحترام لكلّ المرجعيات، لكن حينما لا تتدخل المرجعية في بعض الأمور العملية والمفاهيم الحياتية، الإجتماعي منها والسياسي، ستكون هناك مساحات فراغ على مستوى المرجعية، مثال: اليوم في العراق يوجد مشكلة، وبلبنان أيضاً، الناس في الشارع، ولكن الفرق أنّ الشيعة لهم مرجعية واحدة طبعاً على مستوى تحديد المطلوب، على المستوى العملي، وهذا يجعل الساحة الشيعية في منأى عن كثير من المشاكل، بينما بالمقابل التحديد العملي والمرجعي على مستوى التفصيل هناك آراء واختلافات، المرجعية الواحدة تعالج المسائل الفكرية والثقافية والعملية والإجتماعية، وتعالج التحديات الصعبة، أمّا عندما تُفتقد هذه المرجعية في كلّ الأبعاد، حتى في البعد الفكري، – الإمام المعصوم بالنسبة إلينا هو المرجع الكامل التام –، حينما فقدت العالم هذه المرجعية دخلت في عالم التيه والضياع، وكلما انتُقصت هذه المرجعية من أهميتها وحضورها ومن تأثيرها في الأفراد والمجتمعات الإسلامية كلما ضاع المجتمع الإسلامي.

أمير المؤمنين عليه السلام يقول: "اذا ازدحم الجواب خفي الصواب"، ونقول إنّ المسلم المسكين الذي يسمع آراء ونظريات وأفكار ويتفقه من هنا وهناك، ويستمع الى كل هذه الأقوال في العالم

الإسلامي، وكل هذه النقاشات ثم تقول له : "عليك أن تضبط هويتك"، كيف يضبط هويته؟ سيضيع هذا.

المرجعية هي أحد أهم عناصر المعالجة لهذا التشتت على مستوى البيئة الداخلية للمسلمين.

✓ **ثانياً: المعايير وفقدان المعايير:**

وهذه ثقافة وبحث ثقافي لا ينتهي، أغلب حالات الضياع الفردي والإجتماعي تنتج عن وجود المعايير أو انعدامها، ما هو الصواب وما هو الخطأ.

كما جاء شخص لأمير المؤمنين عليه السلام وقال له إنّ الأمور مختلطة عليه فقال له الإمام عليه السلام "اعرف الحق تعرف أهله"، فما معنى معرفة الحق؟ فقط على المستوى النظري لنميز الحق من الباطل أو الأهم هو التطبيق على المستوى العملي؟، أين هم أهل الحق؟ أين هي راية الحق وكلمة الحق والقائد الحق والموقف الحق؟، كل هذه المعايير اذا فُقدت اهتز المجتمع، اهتزت الهوية الفردية والإجتماعية،ودخلنا في هذه الازمات والمشاكل التي لا يخرج منها العالم الإسلامي بسهولة.

✓ **ثالثاً: الوعي، الوعي الفقهي والثقافي، الوعي المعرفي:**

يجب على الإنسان وأن يميز المجتمع في حركته وتطوره ونموه بين ما هو مطلوب وما هو مرفوض، حينما يُفتقد الوعي، هذه الشخصية تصبح غير قادرة على أن تقدم ذاتها كما يجب إسلامياً، اذن هذه الهوية تتزلزل وتهتز.

فهم الآخر وفهم الإجتهادات: نحن نعيش اليوم في عصر الإجتهاد، الإجتهاد لأي عالم، لأي مرجع، لأي شخص بحسب أصوله لا يلغي الآخرين على الإطلاق، الانفتاح في فهم الآخر اسلاميًا ودينيًا.

الحدة في فهم الآخر من أهم المصائب التي تزلزل هذه الهوية الواحدة، والتي يجب أن تتحد في إطار فكري وفقهي وثقافي جامع للمسلمين، في مجتمع واحد.

حينما لا نقبل بالآخر، عندما يعارضنا، فهم الإجتهاد وعدم استغلاله لمآرب محددة سياسية أو مصلحية، أو أحيانًا حدة في الموقف أو التعصب، كلّ هذه الأمور تمنع من تحديد مستلزمات الهوية على المستوى الخارجي، التحجر الذي تكلم عنه الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه من أهم موانع تكون الهوية الدينية الثقافية الصحيحة والأصيلة، التحجر والتعصب الأعمى، لفكرة، لشخص، لمرجع، لعالم، لقائد، لكتاب، لنموذج، لنمط، لأي شيء، التعصب الأعمى يعمي القلب، ويجعل

الناس أيضاً يصلون الى حد التكفير بين المسلمين وبين أبناء المجتمع الواحد، حينما نكون بحاجة الى الإجتهاد، ليبقى الفكر يلبي الاحتياجات المتطورة بين حين وآخر بالرجوع الى الأصول.

اذن فإنّ فهم الإختلاف وثقافة الإختلاف والإبتعاد عن التحجر أيضا يساهم كثيراً في تكوين هوية سليمة.

✓ رابعا: الأصالة:

كما أنّنا نحتاج الى وعي وإنفتاح، نحتاج الى أصالة، والى أن نثق بديننا، الى أن نثق أنّ ما أعطانا إياه ديننا على مستوى تكوّن الهوية والشخصية هو كاف، وهو يحوي كل ما نحتاج إليه، لكن أن نفهم هذا الدين كما يجب، الأصالة تمنع الخبثاء والمستكبرين من أن يتغلغلوا الى الشخصية والى المجتمع الإسلامي وتمنع هؤلاء من أن يقدموا نماذجهم وأنماطهم أنها الأعظم إنسانياً. وهذا موجود اليوم في عالمنا، بين السياسة الأميركية بكل أبعادها والثقافة الأميركية بكل أنماطها وبين التمسك بهويتنا الأصيلة، نحن نحتاج الى أصالة والى ثقة بديننا.

الشاب الواثق بدينه يمكنه أن يكوّن هوية صحيحة، أمّا الشاب الضعيف فهو ينجرف، إن كان في الثانوية أو في الجامعة، أو من خلال كل المعرفة المفتوحة على الأبواب التي لا تغلق في لحظة من اللحظات.

✓ الأمر الخامس والأخير: هو الوعي الحضاري والسياسي:

نحن أبناء أمة لها وجود، لها حضارة، ولها موقع حضاري مهم، على مستوى هذه الصراعات الموجودة في كل العالم، حينما ينتمي الإنسان الى هذه الحضارة، يعرف أنّه في موقع المواجهة، والفهم الحضاري يدفع الإنسان الى الوعي الحضاري، ولا نكون أفراداً مشتتة لا تشعر بإنتمائها الى الحضارة، ولا نشعر بقوة انتمائنا الى هدف تحقيق هذه الحضارة الدينية الإسلامية، التي نقدمها للعالم نموذجا وطريقة وأسلوبًا، يعني عندنا ما نقدمه والوعي السياسي.

فالغباء والسذاجة في الكثير من المصاديق على المستوى السياسي هي التي تفتح الأبواب أمام بعض الأفراد أو أمام بعض المجتمعات، قلة الوعي السياسي والفهم السياسي، وعدم فهم ما يحيكه الأعداء حينما يطرحون المشاريع الثقافية بشكل بسيط، سرعان ما تتغلغل وتدخل الى مجتمعاتنا، واليوم موجودة، التقليد الأعمى والإتباع الأعمى لمفردات ومصطلحات هي لم تأتِ صدفة، ولم تأتِ من دون دراسة وتخطيط، الذي يمتلك الوعي السياسي يتحصّن.

الفرد أو المجتمع يجب أن يتحصّنا بوعي سياسي أساسي في مواجهة كل هذه المتغيرات التي تحصل من حولنا، فقلة الوعي السياسي أحيانا تكون سببًا في تهشيم هويتنا الدينية الأصيلة، وأحيانا ينطق بهذا التهشيم عالِم، أو إنسان ينتمي الى المدرسة الدينية في المعنى الخاص، أو مفكّر، أو أستاذ جامعي، رجل كان أو إمرأة، كلّ هؤلاء من موقعهم الديني يهشّمون هذه الهوية ويضعفونها ويحطموها، وهم يعتقدون أنهم يحسنون صنعًا نتيجة عدم وعيهم السياسي لكل ما هو مطروح ولكل ما هو موجود.

الإلتهاء بالقشور والظواهر من دون الإلتفات الى ما يُحيكُه الأعداء أمر خطير جدًا.

هذه الأمور أعتقد أنّه بإمكاننا أن نلاحظها، وأن نتعمق في بحثها ودراستها، وبإمكانها أن تعالج الكثير من الاسباب، وأنا تعمّدت في هذه الكلمة أن لا أدخل الى كثير من الأمور السلوكية والإجتماعية والحياتية، والعناوين موجودة على كل حال في كل الأبحاث التي ستُعرض خلال هذا المؤتمر، وتعمّدت أن أتحدث عن بعض الجوانب الجوهرية والأساسية في تكوّن الهوية.

أيها الأخوة والأخوات، اليوم تتعرض الهوية لاقصى الحملات لتخرج المسلمين من حالة اليقين الى حالة الشك، لأنّه من أصعب ما يكون على العدو أن نكون بهذا الحد نثق بديننا، أنظروا اليوم الى مقاومتنا التي علّمت الناس، وأعطت المجتمع الديني ثقة كاملة بهذا الدين، اذن هنا الإنتماء ليس انتماءاً شكليًا إنما إنتماء فيه تعبير عن كل هذه التجربة الصحيحة والأصيلة والعميقة، وفيه الفخر والإعتزاز.

الشاب الحامل لهذه الهوية لا بد أن يشعر بالفخر والإعتزاز، أنّه يحمل هذه الهوية الدينية التي تصبح حقيقة وجوهرًا وشعارًا وإنتماءًا، وتصبح هذه الهوية منشأً لكل عظمة وخير وبركة لهذا الإنسان فيما يحمله لنفسه ولحياته ولمن حوله.

اليوم الأعداء في مختلف الانماط والأشكال السياسية وبما يقومون به من ضغوطات هم خائفون جدًا من هذا التكوّن الأصيل لهذه الهوية ولهذا الإنتماء، التكوّن في أبعاده النظرية وفي أبعاده العملية والذي أنشأ هذه المدرسة، وهي مدرسة الإسلام المحمدي الأصيل وفق نهج الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه.

اليوم أعداؤنا يريدون أن يخرجونا من حالة اليقين الى حالة الشك. اذا وصل المسلمون من جديد وعادوا من جديد الى حالة الشك بهويتهم وانتمائهم ومشروعهم، حينئذ يمكن للعدو أن يتغلغل.

ما يشهده العالم الإسلامي على مستوى البرامج الهادفة والمستهدفة للرجال والنساء، من خلال كل هذه الأمور التي نعرفها جميعًا، أحد أهم أهدافها هو إخراج المسلمين من حالة اليقين الى حالة الشك.

الشك بأنّ الإسلام لا يبنِ لكم دولة، والشك بأنّ الإسلام يأخذ الناس الى التطرف والى القتال والإقتتال، داعش وكل منهج التكفير، كل هذا يلقي في قلوب الناس الشك، حتى اذا استحكم هذا الشك في قلوب المسلمين أخرجوهم الى النقطة الأخيرة التي تأخذ الى الإلحاد، أو الى العلمانية المفرطة أو المفاهيم المزركشة: يعني التي ظاهرها أنيق وباطنها خبيث جدًا، وهذه هي السياسة الأميركية المتبعة اليوم في العالم، يبدأون بالتشكيك والإضعاف، ثم يتغلغلون، ثم يأتي الحل على صهوة السفارات الأميركية والمندوبين الأميركيين، هذا الذي يعمل عليه الأميركيون.

كل هذا السعي ما كان لينجح في أي دولة أو في أي منطقة أو في أي مجتمع إسلامي لو أن الهوية الإسلامية متماسكة، اذن هذا التحدي مهم جداً أن نفهمه.

ما يحصل اليوم في لبنان أيضاً هو صورة الذي تتحكم بإدارته حكومات الغرب، ومنظومات المال، ومنظومات التحكم بمصير الشعوب، من خلال النفاذ الى احتياجات الناس، يعني الشعار هو إحتياجات الناس، أمّا الواقع فهو إلقاء التشكيك في قلوب الناس بكل ما أنجزه أهل الإيمان وأهل التدين وأهل المقاومة، حتى وصل الناس الى مرحلة من التشكيك، بإمكانهم أن ينقلوهم الى مرحلة

التلقي والإستقبال لكل ما يريدونه، وبالتالي التحكم بمصائر هذه الشعوب، لإعادتها من جديد الى حظيرة الهيمنة والخضوع والإستسلام.

هذا يختصر كل الصراع الموجود، ومفردات الصراع القائم بيننا وبين أدوات الولايات المتحدة الأميركية، سواء كانت دولًا أو منظومات، أو ما يسمى مجتمعات عامة.
لبنان الآن فيما حصل على مدار الأسبوعين الماضيين، بلد يعاني – ولا أحد يشك أن بلدنا اليوم يعاني– ، لكن يعاني من أمور عديدة.
أولاً: هناك صرخات محقّة لفقراء ومحرومين وعاطلين عن العمل، وأشخاص خرجوا الى الشارع لأهداف صحيحة، وهناك أيضًا صرخات مدفوعة، من أجل أن تستفيد وتشتغل، هذا الجوع النابع من واقع معيشي صعب، هذه الصرخة موجودة اليوم في لبنان، يعاني لبنان بين هذه الصرخات في:

- المطالب المحقة
- الوضع الاقتصادي المعيشي المتردي
- الوضع المالي والنقدي الصعب جدا
- ويعاني لبنان بين طموحات سياسيين طامعين لم يشبعوا طوال كل السنوات الماضية، وبين التدخلات الأجنبية التي تريد أن تأخذ كل هذا الواقع الى منافعها ومصالحها وبرنامجها السياسي وأحد أهم عنوان برنامجها السياسي هو الدفاع عن كيانها الصهيوني.

اليوم لبنان يقف بين كل هذه المفردات، طبعاً أمام هذا المشهد المعقّد لبنانيًا، ستكون حتمًا الخيارات ضيقة، فلا أحد يتخيل اليوم، أنّ الخيارات أمام اللبنانيين هي خيارات حلوة، إنّما هي خيارات صعبة وضيقة، ولكن المطلوب أن يتمّ التفتيش عن الخيار الأقل صعوبة والأقل ضرراً على الناس وعلى حاضرهم وعلى مستقبلهم.

سقطت الحكومة ولكن بعد سقوط الحكومة ما الذي ينتظره اللبنانييون؟ حتمًا ينتظرون حكومة قادرة على محاكاة الأوجاع والصرخات الصادقة، أكيد ليس المطلوب لديهم حكومة تلبي أهداف أصحاب المشاريع، إنّما حكومة تلبي جوع الناس وحاجاتهم ومشاريعهم وبطالتهم.

هذه الحكومة إذا أُنتجت على نحو ما هو مطلوب شعبيا يمكن لها أن تستمر وأن تبقى، والحكومة الجديدة يجب أن تُقنع الناس بأنها قادرة على تلبية هذه المطالب المحقة، ويجب أن تُقنع الناس أنّها نزيهة، وأنّها بعيدة عن إملاءات السفارات.

إذا لم يقتنع الناس أن هذه الحكومة خرجت وتشكلت بعيدا عن إملاءات السفارات هذا يعني أننا سنعود الى المشكلة من جديد.

كما ينظر الناس الى عقلية الإقلاع ضرورة الإقلاع عن الإختباء وراء التحريض المذهبي، لأنّه أحد أهم أسباب الفساد الذي استشرى على مدى 30 عام، أنّه في أي معالجة أو توجيه الإصبع على من هو فاسد وسارق، الى من هو متهم، تقوم الطائفة كلها.

اذا استمرت عقلية التجييش الطائفي، والإختباء وراءه، فأنا أقول لكم أنّه لا حكومة ولا عشر حكومات تحل مشكلة البلد، ولا مجال لحل هذه المشكلة بهذه العقلية.

هذه الشروط الأساسية على مستوى الحكومة الآتية اذا توفرت (التي يفترض أنها تأتي لكي تعالج)، أما إذا كان شكلها مثل الحكومات السابقة في طريقة التشكيل والمعالجة والإنتقاء للأشخاص، وفي طريقة تحديد البرامج والمتابعة، أعتقد أن هذه الحكومة لن تكون قادرة على معالجة أي شيء.

نحن في حزب الله تحمّلنا في هذين الأسبوعين أعباءً كثيرة من أجل أن نحمي لبنان وبلدنا، وليس من أجل أن نحمي أشخاصًا، أو من أجل أن نحمي جهات، هذا واضح للجميع.

نحن كان هدفنا من تحمّل كل هذه الأعباء، وأخذنا كثيرًا من الأمور بصدورنا، من أجل أن نحمي بلدنا وليس من أجل أن نحمي أفرادًا أو مسؤولين أو جهات، نحن لن نتهرب من مسؤولياتنا، ولكن وظيفتنا أن نوضّح وأن نبيّن وأن ندعو الى مزيد من التعقّل والهدوء والإنتباه، لأنّ أيّ خطاب فتنوي أو تجييشي يأخذ البلد الى مكان لا يمكن العودة عنه بعدئذ، وهذا يحتاج الى حكمة في الموقف في الإعلام وفي التعاطي مع كل شؤون الشارع، لأنّ الشارع عندما يكون فيه كل هذا الغضب، وكل هذه الأمور التي تريد أن تتحكم به على مستوى إلقاء الفتن لأخذه الى أماكن سيئة، لا بدّ أن يواجَه بالحكمة والعقل والمعرفة والهدوء وعدم الإستعجال في أي أمر، حتى لا نصل الى مكان لا يريده ولا يحبه اللبنانيون.

في الختام، أسأل الله تعالى أن يتقبل أعمالكم وأن يوفقكم لإنجاز هذا المؤتمر والخروج بتوصيات مهمة تفيدنا جميعًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

✓ الجلسة الأولى: واقع الهوية الاسلامية في مجتمعاتنا المعاصرة.

✓ **كلمة حجة الاسلام والمسلمين سماحة الشيخ محمد حسين مهدوي مِهر (ممثل جامعة المصطفى "ص" العالمية –فرع لبنان وسوريا–).**

هوية الأمة والمخاطر المحدقة بها في رؤية الإمام الخامنئي (دام ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله

الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

أصحاب الفضيلة والسماحة

السادةُ الأكارمُ والسيِّداتُ الكريماتُ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعدُ :

في البداية، يُسْعِدُني أن أَتقَدَّمَ بأزكى التهاني وأَسمى التبريكاتِ مِن مولانا صاحبِ العصرِ والزمانِ (عج)،

ومراجعِنا العظامِ، لا سيّما سماحة ولي أمر المسلمين الإمامُ القائدُ الخامنئي (دام ظلّه)، ومِن كافّة المؤمنين والموالين، ومنكم أيّها الحضورُ الكريم بحلولِ شهرِ ربيعٍ الأوّلِ ، شهرِ المولد النبوي الشريف سائلين الله تعالى أن يُهِلَّه علينا بالخير والبركةِ والنصرِ والسرور، كما أستَثْمِرُ الفُرْصةَ، وقد ودَّعْنا موسِمَ العزاءِ الحسيني بشهرَيْ محرَّمَ وصفرَ، أنَّ أوجه الشكرَ والتقديرَ لكافّةِ الحسينيّين والزينبيّاتِ، لا سيَّما في هذا البلدِ المقاوِم، على ما بذلوا من جهودٍ في إحياءِ أمرِ أهل البيت(ع)

بإقامةِ المجالس وإطلاق المسِيراتِ والتوجه للزيارات، فتقبَّلَ اللهُ أعمالَكم وشكرَ سعيَكُم وأَعْظَمَ أُجورَكُم ووفقَكم للمزيدِ في قادِمِ الأعوامِ والسنواتِ .

كَمَا أتوجَّو بالشكرِ إلى القائمين على هذا المؤتمر لإتاحتهم الفرصة لي للتوجه بهذه الكلمةِ إلى نخبةٍ من أهل العلم والفضل والاختصاص ، ولا أَنْسَى أَنْ أُحَييَ جهودَهم التي بَذَلُوها لإقامةِ هذا البرنامجِ، عسى أن يكونَ منطَلَقاً لخُطواتٍ عمليّةٍ ترسخُ هوِيَّةَ الأمَّة في مواجهةِ التحدياتِ التي تُحدِقُ بها سائلاً الباريَ للجميع التوفيقَ والسدادَ.

أيها الحضور الكريم

إنّ الحديثَ عن الاخطار المحْدِقةِ بهويّةِ الأمّةِ في ضوء فكر إمامنا الحامنئي (دام ظله) ، لن تستوعبه هذه العجالة من الوقت المتاح في ظل ما يحيق بمنطقتنا من نكبات وأرزاء ، وما تواجه من تحديات تقف وراءها أيادي أعداء الإنسانية ، تحرك تارة زمراً ظلامية تكفيرية أو مجموعات انحرافية ، وتركب تارة أخرى موجة حراكات مطلبية لحرفها نحو الفوضى والاضطرابات الاجتماعية ، كل ذلك بهدف ضرب اللحمة الوطنية الداخلية لبلدان منطقتنا أو قطع وشائج التواصل بينها في سبيل تعزيز هيمنتها الإستكبارية المتغطرسة .

وإنّ مما يؤسف له حقاً ضعف ذاكرة الشعوب في اللحظات المفصلية من تاريخ الأمة ، فيزلزلون هنالك زلزالاً شديداً ، فيأخذ الله تعالى عباده المؤمنين ببعض الألم ليعودوا إليه ، ويختبرهم ببعض المصاعب والمصائب حتى يتنبهوا ويتذكروا ويبحثوا عن المصباح الذي يبدد الظلام ويهديهم للسبيل الأقوم، ولكن تبين الحقائق لا يأتي بالتمني والدعاء وحدهما ، بل يحتاج إلى عقول نيّرة وأفكار خلاقة، وآفاق واسعة تحارب الجمود والركود وتستنبِطُ الحُلولَ، وقد حَبانا الله تعالى بِمَنّه وكرَمِه في عصرِنا الحالي بنعمة الولاية والقيادةِ الإلهيّةِ المتمثلةِ بسماحةِ ولي أمرِ المسلمين الإمامِ الخامنئي (دام ظلّه) الذي يبددُ بفَصْلِ خِطابِه الظُلْمةَ الطَّخْياء، ما يثبتُ به قلوبَ المؤمنينَ.

من هذا المنطَلَقِ، وفي مَعْرِضِ استعراضِ سماحةِ إمامِنا القائدِ (دام ظلّه) للمَخاطِرِ التي تُحدِقُ بالأمّة، نبَّه لأهمّيّة عنصر التمييز بين العدو والصديقِ أساساً في بلَوَرَةِ هويّتِها؛ فقال" :" إنْ لم نُميز صَفَّنا عن صف العدو، فسنقع في فخ الاشتباه والخطأ" ؛ إذ لما رأى عمّار بصِفينَ فئةً من جيش عليّ(ع) قد اضطرَبَت واستولَت عليها الحِيرةُ، أحسَّ بواجبه في التبيين، فتوجَّه إليها قائلاً : "والذي نفسي بيدِه ! لقد قاتلتُ بهذه الرايةِ مع رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم وها أنذا أُقاتلُ بها اليومَ ، والذي نفسي بيدِه لو هزَمُونا حتى يَبلغوا سعفات هجَر لعلْمتُ أنّنا على الحق وأنَّهم على الباطل".

لقد حذَّرَ إمامُنا الخامنئي (دام ظلّه) من تهديدَين خطيرَين يستهدِفان هويةَ الأمة وهما :

– اعتبارُ العدو صديقاً.

– تصوّرُ الصديقِ عدوّاً.

وقال: "من الأخطارِ التي تهدِّدُ كلَّ شعبٍ أن يجهَلَ عدوَّه أو يعتبرَه صديقاً أو حتى مُحايِداً، وهذا خطرٌ جسيمٌ جداً. فعليكم أن تعرِفوا عدوَّكم وأساليبَ عداوَتِهِ، وحَذارِ من الغَفْلةِ عنه، وإلا تَعَرَّضْتُم لغاراتِهِ".

قال أميرُ المؤمنين (ع) في نهج البلاغة: "وَاللهِ لا أكونُ كَالضَّبُعِ تنامُ على طولِ اللَّدْمِ؛ أي التي يُعْزَفُ لها ما يدعوها للنوم".

وما تصريحُ سماحِتِه في جُلِّ كلماتِهِ الإدارةِ الأميركيةِ الإستكباريةِ ومَن معَها من القوى الصهيونيةِ والغربيةِ المتَغَطْرِسَةِ وأذيالِها الرجعيةِ باعتبارها أعداءَ الإنسانيّةِ إلا منعاً للخلطِ بين العدوِّ والصديقِ، لِئَلّا تقعَ جماهيرُ الأمّةِ في فَخِّ آلَتِها الإعلاميّة التي تقدِّمُها كَذِباً وزُوراً مدافِعةً عن حقوق الإنسانِ ومُحافِظةً على السِّلم العالَمِيِّ ومحارِبَةً للعنف والإرهابِ، بينما تؤكِّدُ الوقائعُ عكْسَ ذلك تماماً من خلال ممارساتِها التي يَندَى لها جَبِينُ الإنسانيةِ خَجَلاً. وإليكم نماذِجَ منها:

• شَنُّ الحروبِ الظالمةِ على شعوب العالَم في فيتنام وأفغانستان وإيران والعراق وكوريا وكوبا وغيرها، واستخدامُها الأسلحةِ المحرَّمة دَولياً؛ فلا ننسى أنّ أمريكا هي الدولةُ الوحيدةُ التي استخدمتْ قنبلتين ذريتين في هيروشيما وناكازاكي.

• خلق الإرهاب العالميِّ ورعايته في أفغانستان وباكستان والعراق وسوريا؛ إذ اتُّهمَ أوباما أثناء حملته الإنتخابيةِ بتأسيس تنظيم داعش، كما اتُّهمت منافِسته الديمقراطيةَ هيلاري كلينتون بأنّها شريكةٌ في تأسيس هذه الجماعة الإرهابية أيضاً.

• تهديدُ السِّلمِ الدَّوْلِيِّ بصفقاتِ الأسلحة التي تعقِدُها لا سيما مع دول المنطقة التي تحمل سِجِلّاً أسود في انتهاكات حقوق الإنسان وارتكاب الجرائم ضدَّ الإنسانيّةِ كإسرائيل والسعودية.

• التدخُّل في الشؤون الداخليةِ للدول ذاتِ السيادةِ، وبَثِّ الإضطراباتِ فيها من خلالِ دعمِ الثوراتِ الملوَّنةِ والإنقلابات العسكريّة.

• عدم احترام سيادة الدول وانتهاك حقوق الملكيّة فيها، عبر نشر قواتها العسكرية المحتلة وإقامةِ قواعد عسكريةٍ في أراضيها بدون طلبٍ أو إذْنٍ من أنظمتِها الشرعيةِ وشعوبها، كما أفغانستان وسوريا والعراق وأفريقيا وغيرها.

نعم! إنّ مَظاهِرَ العداوةِ والبغضاءِ الإستكباريِّ أكبرُ وأوقَحُ من أن يتَّسِعَ لها المجالُ، ولكنَّ ما يُضحكُ الثَّكْلى أنْ يأتي ذلك العدُوُّ الذئبُ ليلبِسَ رِداءَ الحَمَلِ الوديعِ مُدَّعِياً الصَّداقةَ والحِرْصَ على مصالح الشعوب والدول، لا سيَّما الإسلامية كي يَبْتَزَّ ثرواتِها، حتى صارت الإدارةُ الأميركيةُ تتعاملُ مع بعضِ الأنظمةِ العربيةِ باعتبارها بقرةً حلوباً، تنهبُ ملياراتِها بحُجّةِ حمايتها من أعداءَ مزعومين، مع أنّها هي العدوّةُ الوحيدةُ والحقيقةُ.

يقول الإمام الخامنئيّ (دام ظله): "إنّ أعداءنا خبثاءُ ذاتاً، ولا تقتصرُ عداوتُهم علينا فحسب، بل على البشريةِ جمعاءَ. لقد فصَلوا آلافَ الأطفالِ عن أمّهاتِهِم في أمريكا لتطبيق سياسةٍ معيَّنةٍ.. إنهم أنفسُهم الذين يحاصِرون الميناءَ الوحيدَ في اليمن قطعاً للمُتَنَفَّسِ الوحيدِ للشعب اليمني... إنّ أعداءَنا ظالمون ذاتاً، ولا يُعادون الجمهوريةَ الإسلاميةَ إلا لأنها تدعو للعدالة والإسلامية والدفاع عن المظلومين..."

أيها الحضور الكريم

إنّ أربعة عقودٍ من عمر الجمهورية الإسلامية أكبرُ شاهدٍ على حجم العدوان الذي تعرَّضَت له من قبل الإستكبار العالميِّ وأذياله بدءاً من مؤامرات الإطاحة بالنظام عبر انقلابات فاشلة والإنزال العسكري بطبس، ومروراً بحرب الثماني سنوات المفروضةِ وإسقاطِ طائرة الركاب المدنية الإيرانية في مياه الخليج الفارسي، ودعم منظمة منافقي خلق الإرهابية التي راحَ ضحيةَ إجرامِها أكثرُ من ثمانيةَ عشرَ ألفَ مواطنٍ إيرانيٍّ بريءٍ، وغيرها من الجرائم التي ارتكبها العدوُّ الإستكباريُّ المتمثِّلُ بالإدارةِ الأميركيةِ.

إن مثل هذا العدوِّ الذي يمتلكُ مثل ذلك السجلِّ الأسود من الجرائم، لا يمكن له أن يصبح صديقاً في يوم من الأيام مهما غيَّر من أساليبه.

يقول الإمام القائدُ: "أوصي مسؤولي البلاد ألاّ ينخدِعوا بالعدوِّ الذي يحاول التسلُّلِ بطرقٍ مختلفةٍ؛ فتارةً يُرينا ابتسامتَه وأحياناً قبضتَه، إلا أنَّ هدفَه واحدٌ وهو العداوةُ: " قَد بَدَتِ البَغضاءُ مِن أَفواهِهِم وَما تُخفي صُدورُهُم أَكبَرُ"؛... مع أنّ الأمريكان اليوم قد تجاوزوا مرحلةَ الخداع ليُشهِروا سيوفَهم بشكلٍ سافرٍ، وبقي الأوروبيون وحدهم ممن يلجؤون للخديعة... فالحذرَ الحذر من الإنخداع..."

في المقابل، لم تعتدِ الجمهورية الإسلامية الإيرانية على أي دولةٍ المنطقة، بل كانت صمام أمانٍ لها من خلال محاربتها للإرهاب الداعشيِّ، ودعمِ شعوب المنطقة المظلومة في مواجهة العدوان، والوقوف مع الأنظمة الشرعية المقاومة بشهادة الجميع.

أيها الحضور الكريم

من أهم واجبات المسلمين، من منظور الإمام القائد، الإحاطة الكاملة بالعدوِّ وألاعيبه، وعدم الإكتفاء ببُعدٍ واحدٍ في الحكم على الأمور بحُسنِ نيةٍ وبساطةٍ، فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق (ع): "إنّ بني أمية أطلقوا للناس تعليم الإيمان ولم يطلقوا تعليم الشرك لكي إذا حملوهم عليه لم يعرفوه".

وكم دفعَت الأمةُ الثمن غالياً نتيجة اختلاط الأمر عليها وبُعدِها عن تمييز العدو من الصديق على أساسٍ من المعرفة العميقةِ الجامعة، فوقعت فتنة الخوارج في عهد علي (ع)، وانقسم جيشُ الحسنِ (ع)، واستشهد الحسين (ع) بسيوفٍ كانت عليه وقلوبٍ كانت له، والأصعبُ من ذلك كلِّه تطاوُلُ غيبة صاحبِ الأمر (ع).

"اللَّهُمَّ إِنَّا نشكُو إِليكَ فقْدَ نبِيِّنا صلواتُكَ عليه وآله وغيبة ولينا [إمامنا] وكثرة عدونا وقلة عددنا، وشدةَ الفتن بنا وتظاهر الزمان علينا، فصلِّ على محمد وآله [آل محمد] وأعنا على ذلك بفتح منك تعجله وبضرٍّ تكشفه ونصر تعزه وسلطان حق تظهره ورحمة منك تجللناها وعافية منك تلبسناها برحمتك يا أرحم الراحمين" .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

✓ كلمة السيد عباس خامیار (المستشار الثقافي للجمهورية الاسلامية الايرانية في لبنان).

الثورة الإسلامية الإيرانية ودورها في إرساء الهوية الإسلامية للأمّة.

لا يمكن الحديث عن هويةٍ دينيةٍ ذات بُعدٍ رؤيويٍّ في أوروبا ما قبل الثورة الفرنسية، فحدث **الثورة** قلبَ طاولةَ المعايير فوق رأس الملك، **و**طبقة النبلاء ورجال الدين, كما لا يمكن الحديث عن هويةٍ إسلاميةٍ، حصراً، في العالم العربي خلال حقبة ما بعد الثورة الفرنسية، حيث يستتبعُ النظر إلى مخلّفاتها، ملاحظةَ آثار تصديرها المتمثّلة بما يسمّى الاستعمار، او المحاولة المقنّعة لبسط النفوذ وغزو الثقافات والحضارات وتقويض القوميات التي كانت تشكّلُ هويةً وطنيةً للشعوب في دول العالم الثالث– الشرق تحديداً– حتى ذاك الوقت.

في متاهة البحث الدائم عن الهوية البديلة التي تحفظ كيان الفرد ومنه كيان المجتمع وبالتالي جسد الدولة والوطن، على اعتبار أن المجتمعَ دولةٌ مصغّرة، توالت مساعٍ حثيثة لإنشاء الدولة الحديثة في البلاد العربية والإسلامية سواءً من منطلقاتٍ ومناظير دينية ولاهوتية، أم من أسسٍ علمانيةٍ لا دينيةٍ، متأثرةٍ بمستوردات الغرب الحداثوية. وهذه المساعي التي لطالما حاولت مقاربة صورة الجمهورية الأفلاطونية أو المدينة الفاضلة، غير أنّ خيطاً ما، كان على أهميتِه وضرورته مفقوداً حتى في جمهورية أفلاطون، فبقيت المثلُ أشبه بنظرياتٍ طوباوية صعبةِ التحقّق والتطبيق، مما جعل البحث عن بنيةٍ تحتيةٍ لقيامِ الدولةِ، تكون المعيارَ والعروة المحكمة، بمثابة اللازمةَ للعصرِ لرسمِ الهويةِ البديلة. وقد أخفق التعويلُ على الحسّ القومي والوطني الخالص في توحيد صفوف الأمة على إرادة الخير العام، والتعايش المشترك المبتني على مبادئ الأخلاق قانوناً ودستوراً، عقلياً عالمياً، يصلح لكلّ القوميات والخلفيات التراثية. وكثيراً ما تبدّدت ملامحُ العقل المطلق في مفاهيم الفلاسفة ومذاهبهم، نتيجةَ وصول فلسفاتهم إلى نقطةٍ توجِبُ يقيناً أولياً يضمنُ الحقائق المعرفية وينفي عنها التخلخل والشكوك. فنرى صيغة الأمر الواجب عند إيمانويل كانت، ونرى الضمانةَ الإلهية عند ديكارت، ونشهدُ على التثليث المسيحي الذي طابقهُ هيغل على جدلياته الثلاثية، فما كانت الفلسفة والدين إلا رافدَينِ متوازيَينِ متناغمَين معاً إلى جانب الفن، في الوصول إلى المطلق، أو العقل الكلي، وما هذه المقاربة سوى لمحةٍ قد تلفتُ نظرَ أيّ قارئٍ للتاريخ، أيّ إلى أهمية عنصر الإيمان في احتضان الوجود الإنساني واجتماعه البشري في هيئةِ دولةٍ وجماعة.

عرفَ الشرقُ والعربُ والأتراكُ هذه الحقيقةَ، وتجلى ذلك في الحركات التجديدية الإصلاحية التي جاءت بعد حقباتٍ من الحكومات الملكية والسلطنات والديكتاتوريات. حاولت هذه الحركات الإفادة من علوم الغرب مع حفظ التراث وعدم التخلي عنه بالكامل، بل بما يتناسب مع تطور العصر، وهذا ما تميّزت به نهضةُ محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغاني وحسن البنّا، في فترةٍ جاءت خلالها الأنظمة الغربية بشعارات الأخوة والعدالة والمساواة، فاختلطت الأمور وواجه الكثير من رموز الإصلاح العربي تحديداً محارباتِ واتهاماتٍ بإسقاط الرؤى الغربية على المجتمع العربي وتبني الإرادة الفرانكوفونية.

هكذا وفي الغالب افتقدت تلك الحركات النهضوية القاعدة الوطنية والمذهبية لثوراتها. وقامت في مقابل هذه الحركات، مطالبات عكسية بالعودة إلى السلف والأخذ بالتراث كما هو والرجوع إلى الأصالة وإلى زمن الخلافة، لا سيما بعد سقوط الدولة العثمانية، ورفض أي سلعة غربية اقتصادياً وفكرياً واجتماعياً .

واعتبر مفكرون عرب من أمثال عبد الله العروي ومحمد عابد الجابري أنّ الدول العربية لم تبلغ تخوم الدولة الحديثة، فليس هناك حداثةٌ في الشرق وإنّما محاولات تحديث، خصوصاً وأنّ العقلُ العربي لايزال يخضع لسلطاتٍ لم تتحرر بنيته منها بعد.

كلّ هذه الأحداث والتجاذبات، كانت كفيلةً لخلقِ نسَقٍ معرفيٍّ بتعبير ميشال فوكو، وفّرَ البنى التحتية الأولى لقيام الثورات والنهضات العربية والإسلامية في وقتٍ لاحق من القرن العشرين.

فالإصلاحُ والحداثةُ لا يمكن أن تكونَ مستوردة أو مصدّرة، إذ إن الأنساق التاريخية تختلف بين الشعوب والدول على كافة الصعد، وإن علاقة الأنساق كما يعبّرُ فوكو هي علاقةُ قطيعةٍ، أي أنها لا تتشاركُ في شيء، ما أن ينتهي نسقٌ حتى يبدأ آخر. يموتُ نسقٌ ليولدَ آخر مختلفٌ كلياً. فكيف يصحُّ استيرادُ ثقافةٍ والسماح لها بحكمِ العالم؟!

وعليه، كان لا بد أن تظهر في إيران تحديداً، كدولةٍ شرقيةٍ عرفت الإسلام وخضعت للحكم الملكي المستبد قروناً عديدة، بنيةٌ معرفيةٌ يحكمها الإصلاحُ وإرادةُ الخير دون إرادة القوة والغلبة، أو التحكم وإستعباد البشر.

تجلّت رغبةُ الإصلاح والقيام ضدّ الفساد في ملامح نهضة الإمام روح الله الخميني(ره)، الذي أدركَ التوقيت المناسب لاحتضان القاعدة الشعبية الداعمة لحركته، والتي عملت على التغيير وبناء الدولة على بُنى الإسلام ورؤاه، بعدما كادت حروب الأحزاب المختلفة الإشتراكية واليسارية وسواها من التيارات والحركات التي تختلفُ أهدافُها في محاربة الحكم البهلوي، والتي كانت تعتبر الدين «افيون الشعور» وبالتالي كان من البديهيّ أن لا تتلاقى ولا تنتهيَ غاياتُها للصالح العام، وتالياً أن تضيعَ بوصلةَ البحث عن الهوية. فقدِمَ الإمام الخميني لإعادة إرساء الهوية الدينية، هذا الدين الذي نزلَ خاتماً ومتمّماً للأديان السماوية جميعاً، والذي أتمَّ مكارمَ الأخلاقِ بأصوله وفروعه التي جاء بها محمد(ص) من أجل تنظيم حياة الإنسان والارتقاء بالإنسانية إلى مطلق غاياتها الملكوتية.

لقد كان فهمُ الإمام الخميني مختلفاً لكُنهِ الإسلام. فالإسلامُ أبعدُ من أن يظلَّ شريعةً تُعنى بالأحكام الفقهية فحسب، وإنما حريٌّ به أن يُعنى بكافة جوانب الحياة، حياةً اجتماعيةً ونظاماً اقتصادياً ودولةً حاكمة. والإسلامُ الذي شاء له الخميني أن يحكم، ليس ذاك الذي توجّسَ الغربُ من غاياته التي اختزلها بمفهوم التوسع والسيطرة، كما أنه ليس إسلامَ استبداد الحاكم. فكما أنّ المعصومَ جديرٌ باستلام زمام الحكومة الإسلامية، لما في شخصِه وخلقه من صفات العدالة والإنسانية وإرادة الخير للناس، وقيادة أمورهم، كونَه المثالَ القدوة، فكذلك عصرُنا- الذي يغيبُ فيه المعصوم- في حاجةٍ إلى حكومةٍ من هذا النوع- تُبنى وتزدهر على أسس العقيدة والإيمان.

وقد مهّد كثيرٌ من رموز الفكر المحمدي الأصيل لقيام ثورة الخميني، من أمثال العلامة الطباطبائي ثم الشهيد مطهري والدكتور شريعتي وغيرهم ، لكن ما يميز الإمام الخميني ومعه الآخرون ومن طلاب مدرسته أنّهم دعوا الى العودة إلى الذات من أجل بلوغ المعرفة، وبناء الذات الثورية، ومعرفة الإسلام الحقيقي، ناقداً الحداثة الغربية، وناقداً التغريب الشرقي وادّعاء الإسلام الجاهل وعبادة قشور الموروث؛ والرجعية التي أساءت أكثر مما أضافت إلى وجه الدين.

لقد أراد الإمام الخميني من الثورة الإسلامية أن تحقّقَ العرفانَ العملي، فهو الذي كان عارفاً وفيلسوفاً وسياسياً ومجتهداً يرى أن العالمَ وسائر موجوداته ليس ذاتيَّ الوجود بل فقيرٌ إلى من ليس محتاجاً في وجوده.

فمبادئ كهذه ومنطلقاتٍ بهذه الروحانية، كانت هي الدافع للقيام والحافز للنهوض, والتوجه إلى الله والإقرار بالحاجة إلى كتابه لمعرفة الطريق إليه. وهذا ما تؤكدُه وصيتُه في الابتعاد عن حبّ الدنيا والرئاسة، واعتبار المعارف الإلهية نموذجاً لأصحاب القلوب وأرباب السلوك. فنجده يقول: "إنّ السبب الرئيس للندم وأساس ومنشأ جميع ألوان الشقاء والعذاب والمهالك ورأس جميع الخطايا والذنوب، إنّما هو حبّ الدنيا الناشيء من حبّ النفس"، كما يوصي ابنَه بضرورة عدم إتعاب النفس في طلب الدنيا والمناصب والمقامات الدنيوية، لأنّ ذلك لن يحمل معه سوى الشقاء والعذاب.

هذه هي فلسفة الإمام الخميني في ثورته، ومنهجه العرفاني الذي وجد من الضروريّ أن يتبعه في سلوكه الاجتماعي والسياسي فيكون إلى الله أقرب، على خُطى داوود وسليمان، ومحمدٍ خاتم النبيين. هكذا تعدُّ تجربة الثورة الإسلامية في إيران نموذجاً للثورات الشعبية التي يوحّد أبناءها الإيمان وحب الوطن، والثقةُ بقيادتِها؛ هذه الثقة التي تبرزُ آثارُها حتى اليوم، يداً واحدة رغم كلّ التحديات في وجه إرادة الشر التي ليس في معاجمها معنىً لليقين، فراحت تغزو وتختلقُ حروباً لا يعتريها سوى المصالح والسلطة والتوسع الماسوني المبطّن بادعاءات تحرير الشعوب.

إن الهويةَ الإسلاميةَ تحرسُها الأيديولوجيا كما ذهبَ إلى القول العالم الأمريكي كيلفورد غيرتز، الذي اعتبر أن الأيديولوجيا تحافظ على الهوية لأنها قريبةٌ من مفهوم الثقافة، وليست تمثيلاً لمصالح معينة. ويمكننا بدورنا أن نستشهدَ بمقولةِ شاهدٍ من عالم الغرب، إلى جانب قراءة كثيرين من أمثال كلود ليفي شتراوس وجورج بالانديه للأيديولوجيا القائمة على الأنثروبولوجيا، لنستدلَّ على أهمية هذه

الهوية ودحضِها لدورِ الهويات الأخرى من خلال شموليتِها القائمة على الرسالة السماوية التي حملها اللاهوت من الملكوت إلى مجتمع الناسوت، فترتقيَ البشريةُ تاريخياً ومعرفياً على كافة الصعُد.

إنني أؤكد على أنّ الثورة الإسلامية قد أثبتت نجوعَها بعدما ألهمت الكثيرين سواءً على صعيد شخصية القائد المثالي الذي تحتاج إليه الشعوب من أجل النهوض أم على صعيد النتائج المتحققة علمياً وتقنياً وثقافياً وفكرياً وحتى صناعياً واقتصادياً، مما جعل الجمهورية الإسلامية قوةً استراتيجيةً في المنطقة ومحور الشرق تحديداً ولاعباً مهماً، يُحسَبُ له ألفُ حسابٍ من قبل العدو والصديق، فيبادر الجميع إلى التفاوض معه وبناء المصالح.

لقد أرسى الامام الخميني هوية واحدة لجمهورية وهي الهوية الاسلامية، ورسّخ وحدة العالم الاسلامي محمّلا" علماء الدين واصحاب المنابر واساتذة الجامعات والحوزات العلمية مسؤولية العمل بالكلام والخطاب والتبليغ لتصحيح صورة الاسلام لدى الرأي العام العالمي وتقديم صورة الاسلام الحقيقية الوسطية الناصعة .

كان الامام الخميني يمتلك الشخصية الشجاعة المبرّزة صاحبة الإرادة ، وكان سياسياً وفقيهاً ورشيداً ، ورجلاً عارفاً بالزمن الذي كان يعيش فيه, فروحيته كانت واضحة لكل انسان وقيادته الدينية للثورة جعلت الناس يثقون بشخصه كما قناعتهم برسالته .

ثبّت الامام هوية الثورة بوضعه هيكلية الدولة الاسلامية، ساعده في ذلك ثقة وإعتقاد الناس الكبيرين اللذين شعر بهما بقائد ديني على خطى النبي(ص)، فانهم تحركوا بذلك الاتجاه. واسترجعوا هويتهم المسروقة والمنزوعة منذ أمد بعيد.

لقد كان الامام الخميني رمزاً لقائد ثورة و كانت مساهماته عظيمة جداً في تعبئة الجماهير واسترجاع الأمة هويتها بأكملها وخاصة الشباب ومفهوم ولاية الفقيه الذي طبقه الامام الخميني منح الفكر السياسي لايران حياة جديدة وبثّ فيه روحاً جديدة اعطاها القدرة على إرساء الهوية الاسلامية بكل ما تملك الكلمة من معنى، وما وقوف الجمهورية الإسلامية في عهد امامنا الخميني في العقد الأول من ولادتها او في عهد امامها الخامنئي، الى جانب مستضعفي الأمة وشعوبها, وبالتحديد حركات المقاومة في لبنان وفلسطين وسوريا واليمن والعراق وغيرهم، إلاّ دليل على تأصيل الهوية الاسلامية لإيران .

✓ كلمة سماحة الشيخ حسن حمادة (عضو المجلس المركزي في حزب الله)

أبعاد التمسك بالهوية الإسلامية والمحافظة عليها في عصر العولمة والحداثة.

مقدمة:

نحن أمام موضوع في غاية الأهمية والتعقيد والحساسية ويحتاج الكثير من الشجاعة في مقارباته اذا اردنا ان نكون صادقين مع اسلامنا وربنا وانفسنا، وهذا التعقيد غير مرتبط بزمننا الحاضر وهو زمن الحداثة والعولمة فالاشكالية والتحدي حول الهوية ومكوناتها وخصائصها والحفاظ عليها كان مطروحاً في جميع الحقب الزمنية السابقة، منذ صدر الاسلام الاول، مع الاعتراف بدقة المرحلة وحساسيتها بسبب تطور العلوم والنظريات الاجتماعية وسهولة انتقال الافكار عبر وسائل التواصل وكذلك سهولة بث السموم الفكرية والشبهات العقدية وبذور الانحراف الاخلاقي والاجتماعي الذي يمهد للابتعاد عن القيم الدينية والتي هي في اكثرها قيم اخلاقية واجتماعية، وبسبب قصر الوقت المتاح سأحاول الاختصار على أمل ان يتاح للباحثين القادرين على توسعة هكذا ابحاث في المستقبل.

اولاً: ابعاد التمسك بالهوية الاسلامية:

وهي ثلاثة أبعاد رئيسية وتعدّ نفسها الأبعاد المكونة للهوية اصلاً، وتشكل الابعاد المكونة الجانب النظري للهوية الإسلامية بينما يشكل التمسك بالهوية الجانب التطبيقي او العملي ولا يقل كل جانب اهمية عن الآخر سواء النظري او التطبيقي.

1- البعد الاول وهو البعد النظري ويشمل (العقدي ، الثقافي، الفقهي الخ).
2- البعد الثاني وهو البعد الإجتماعي ويشمل (السياسة ، والعدالة الاجتماعية و الخ).
3- البعد الثالث وهو البعد المعنوي ويشمل (الاخلاق والمعنويات، الخ..) ويمكن لهذا البعد ان نلحقه بالبعد الاول تسهيلاً للبحث.

وبناء عليه تقوّم الهوية الاسلامية نظرياً وتطبيقياً ببعدين اساسيين الاول الايمان والثاني العمل الصالح ، وقد اقترن الايمان بالعمل الصالح في اكثر الآيات القرآنية كطريق الى الفلاح والنجاة والفوز .

قال تعالى:

- إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع أجر من احسن عملاً .
- إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً.
- إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون.
- إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً / الخ...

وعليه فالبحث اولاً في الهوية عبر الأبعاد المذكورة في شقيها النظري والعملي، وينبغي السؤال اولاً هل أنّ الهوية الاسلامية متفق عليها ولا لبس او اغتباش في صورتها انطلاقاً من ابعادها ... مع أنّ البحث داخل كل بعد ومعرفة انطباقه على واقع الاسلام والقرآن والفهم الصحيح لآياته هو امر يسري السؤال اليه تبعاً للسؤال الاول ، فالنقاش سيؤول اولاً الى النظرة الى كل عنصر من عناصر كل بعد وانطباقه على واقع الاسلام او قل الفهم النبوي له وثانياً التكامل والتوازن داخل كل بعد فيما بين عناصره ومن ثم التوازن بين الابعاد جميعاً.

وبالنظر إلى الإختلافات الكثيرة والعميقة احياناً بين فرق وطوائف المسلمين حول كل تفصيل تقريباً من تلك الأبعاد والعناصر، سنجد أنفسنا أمام هويات مختلفة لإسلامات متعددة لا حصر لها، لأنّ الهوية محل بحثنا هي التي يعبر عنها المسلمون طوائف وفرق وعلماء، أمّا الهوية الحقيقية فهي في علم الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، ومن وفق للإهتداء بهديهم وهم قلة في الزمان والمكان. نعم الشعار الاسلامي مورد إتفاق حتى لا نقول إجماع، وهو غير الهوية وقد يعبر الشعار عن عمومياتها، وهذا لا بأس فيه ايضاً، لكن تشخيص الهوية الاسلامية بدقة للعمل بموجبها هو أمر مطلوب وفي غاية الأهمية لنجاح الأمة في الوصول الى أهدافها.

واذا لاحظنا المقوم الجامع للأمة الاسلامية عبر تاريخها المليء بالحروب البينية والظلم والفساد باسم الإسلام، نجده غالباً في الشعار كما قلنا، أو في أحسن الأحوال في بعض عناصر وأبعاد الهوية من الآذان الى الإعتراف بالقرآن ونبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مروراً بالعبادات الاساسية كمظهر غالباً، وبعض المعاملات، وصولاً الى الأخلاقيات والامور المعنوية ، لكن هل هذه الأمور هي المقومة للهوية بأبعادها ؟؟!! وهنا يأتي ألف سؤال وسؤال .

هناك كلام للإمام الخميني يقول فيه لا أتباع سنة النبي فهموا سنته وعملوا بها ولا شيعة أهل البيت فهموا وعملوا بخطهم.

اذن نحن أمام إشكالية أساسية لأنّه إذا أردنا أن نعبّر عن الهوية بمعناها العام كإطار أو شعار لنوحد حولها المسلمين، فإنّ الحفاظ على ذلك أمام الأعاصير والفتن وهجمات الأعداء لن يستقيم، ولا يستقيم إلا إذا شخّصنا المعنى الحقيقي والمطلوب للهوية وأبعادها، ورسخنا هذا المعنى في حياة الأمة. من هنا فإنّ الكلام حول الأبعاد المكونة للهوية وتفصيل ذلك أمر يحتاج الى محاضرات وكتب، وهنا فقط أشير وأحيل الى أنّ خير من عبّر نظرياً وعملياً عن هذه الهوية وجسدها وهو الإمام الخميني قدس سره ومن بعده الالإمام الخامنئي، ويمكن الرجوع الى تراثهما وهو متوفر، وهذا بحد ذاته أمر يحتاج الى جهد وبحث، ولعلّه أسهل في استخراج أبعاد الهوية الحقّة من كتاب الله تعالى وسنة وسيرة النبي وأهل البيت عليهم السلام حيث التعقيد هناك أكبر بسبب التشويه اللفظي والمعنوي الكبير وبعد الفاصلة الزمنية.

وانتقل هنا الى الشق الاخر وهو الحفاظ على الهوية في عصر العولمة والحداثة.

ثانياً: الحفاظ على الهوية الاسلامية في زمن العولمة والحداثة.

هنا سأبني على ما خلصت اليه باعتبار أنّ أبعاد الهوية الاسلامية هي ما عبّر عنه الإمام الخميني قدس سره، عبر ثورته ودولته ومجتمعه وتجربته الرائدة والكاشفة بدورها عن الهوية الإسلامية التي لم

يتح حتى للنبي"ص"، فضلاً عن علي عليه السلام وأبنائه أن يوضحوها إلاّ في الإطار النظري، مع صعوبة المهمة والمشاكل الجمة. أمّا في الإطار التطبيقي فان علياً عليه السلام حرم من تقديم النموذج المجتمعي الذي كان يتطلع اليه، وحتى إنّني ادّعي أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتمكن من تقديم التجربة والنموذج المجتمعي الذي كان يصبو إليه، ويكفي أن أشير الى حادثة الغدير في السنة الأخيرة لحياته الشريفة، وقول الله تعالى "يا ايّها الرسول بلغ ما أُنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته"، وبالتالي فإنّ أهم وسيلة اليوم للحفاظ على الهوية الاسلامية لاسيما في عصرنا الحاضر عصر الهجمة المنظمة على الثورة الاسلامية هو ما يلي:

1- بذل الجهد لاستكمال بيان أبعاد وعناصر الهوية الاسلامية على المستوى النظري، لأنّنا ورغم قطع مسافة (لدى الثورة الاسلامية وعلمائها) لا زلنا أمام تحدٍ كبير، والمطلوب المزيد من النظريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكذلك على المستوى الفقهي المطلوب الكثير من الجهد لمواكبة هذا التطور الثوري وكذلك في مستويات اخرى، واذا ما فشلنا في هذا الاطار فإنّ الدفاع عن الهوية سيكون أصعب وأعقد.

2- تقديم التجربة بشكل أفضل مما هي عليه اليوم، رغم أهمية التجربة المقدمة حتى الآن، سياسياً اجتماعياً، عمرانياً، معنوياً.. الخ...سواء داخل الجمهورية الاسلامية أو في المجتمعات التي تحسب عليها وعلى تجربتها كلبنان المقاومة.

3- بالدرجة الثالثة تأتي أهمية مواجهة طرق الإفساد للهوية من الخارج، وبيان فساد التجربة الحضارية الغربية ونقاط ضعفها لجمهورنا.

وفي الختام، فإنّنا معنيون جميعاً وكل من موقع امكاناته وقدراته، المساهمة في تحقيق وسائل الحفاظ على الهوية الاسلامية، عبر بيان الأبعاد الحقيقية للهوية الاسلامية بما ينسجم مع القرآن الكريم والتجربة النبوية والأهل بيتية وتجربة الثورة الاسلامية، وتالياً تقديم النموذج وتعميم هذا النموذج عبر الوسائل المناسبة، لفك الحصار الظالم عنها وعرضها على المسلمين والبشرية كافة، وأخيراً التصدي لنوافذ وابواب الفساد عبر تحصين المسلمين والمؤمنين من الداخل، ولا يكون هذا التحصين متاحاً بغير توجيههم للفهم الصحيح لأبعاد الهوية الاسلامية او ما يحبّ الإمام الخميني تسميته الإسلام المحمدي الاصيل.

✓ الجلسة الثانية: التحديات المعاصرة التي تواجه الهوية الاسلامية

✓ كلمة الدكتور حسين رحّال (استاذ جامعي).

المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية

سأحاول في كلمتي هذه أن أترصد العلاقة بين المصطلحات الغربية وتأثيراتها على الهوية الإسلامية، وهذا الربط بين الخلفية الأيديولوجية لهذه المصطلحات وما يحكى في موضوعات المرأة وغيرها في مجتمعاتنا.

لن أدخل منهجيًا في نقاش ما أدّت اليه هذه المصطلحات داخل الغرب نفسه، ولكن أولًا أريد أن أشير الى مسألة مهمة هي أنّ ما يُطرح في المجال الثقافي الغربي من ناحية نموذج الحياة الذي يشمل الرجل والمرأة والطفل، إنما هو يشكّل تحديًا لكل الثقافات الخاصة في العالم، ليس فقط تحديًا للهوية الإسلامية.

الآن وبعد جهود عديدة ومديدة تم التركيز حتى في اليونيسف والأمم المتحدة على حماية الخصوصيات الثقافية للأمم، حماية التراث الثقافي للأمم كلها، الخصوصية الثقافية، الثقافات المتنوعة والفرعية، بعد جهد جهيد، ولكن البنية التي يتم من خلالها تقديم الأفكار والرؤى التنموية

والثقافية التي تصل إلينا في برامج متعددة، منها البرامج التربوية للجامعات والكتب الدراسية للمدارس كلها لا تعكس هذه الفكرة المهمة، وهي حماية التنوع الثقافي في العالم.

من هذا المنطلق أعود وأشير إلى أنّ كلّ المصطلحات الغربية الوافدة إنّما جاءت في سياق واحد وهو عولمة التطور الثقافي الوضعاني في الغرب، تطور المدرسة الوضعية أدّى الى قراءة العالم قراءة وضعية، وهناك مدارس نقدية عديدة لهذا التطور الوضعاني في الغرب، حيث هناك مدارس متعددة والمدرسة الأقوى التي يتأثر فيها النموذج العولمي هي المدرسة الوضعانية التي أنتجت ما يسمى بالعقل الأداتي.

العقل الأداتي باختصار هو تطور رؤية في العالم ترى أنّ كلّ ما في الطبيعة إنّما يخضع لسيطرة تقنية للإنسان وبالتالي إستباحة الطبيعة، ثم هذه الإستباحة أدّت الى الكوارث الطبيعية التي نراها الآن: استنزاف الموارد على حساب الأجيال القادمة.

تطور هذه العقلية التقنية الأداتية أدّى الى التسليع والاغتراب، وأدّى الى تشويه العلاقة بين العلم والتكنولوجيا من جهة، وبين العلم والإنسان من جهة أخرى، لماذا؟ لأنّ ذلك المسار انتقل الى تعاملنا وفهمنا للمجتمع والانسان، على غرار فهمنا للطبيعة، من كونها طبيعة لها توازنها الذي يجب الحفاظ عليه وتوازنها الذي يجب عدم استنزافه من خلال هذا المنظور، فبات العلم والتكنولوجيا موجودين الآن في إطار التكيف الذي يؤدي للكيف أي في إستخدام الوسائل الفعالة في السيطرة على المجتمعات.

وقد خضع علم الاجتماع نفسه الى هذه الرؤية، حيث تم إنشاؤه على طريقة الفيزياء، وأطلقوا عليه الفيزياء الاجتماعية من أجل السيطرة على المجتمع من خلال اكتشاف ما يسمى بقوانينه، وهذا ما قام به "أوغست كونت" الوضعي الذي كان يريد أن يقيم علم الإجتماع في إطار فلسفة وضعية قائمة على دين وضعي.

اذًن فمجمل الرؤى والمصطلحات الغربية تنطلق من هذا التفكير الأداتي الذي في جزء منه يعتمد على مفردات عديدة من أبرزها "**الفردانية**".

الفردانية واحدة من الأدوات المفاهمية التي يستخدمها أتباع النموذج الغربي في إطار الترويج لفكر الغرب، وهي تؤدي الى أمور عديدة، تعمل على تسليع البشر والتعامل معهم كأرقام، مثل ما نتعامل مع الشجرة: كم صندوقاً خشبياً نستطيع ان نصنع منها، وليست كـ"روح"، وكائن يجب احترامه.

نحن نتعامل مع بشر، كيف نستفيد منهم بإدامة عملية النمو الإقتصادي، يعني تسليع البشر جميعاً وخصوصًا المرأة.

هنا خطورة المرأة باعتبارها الركن الأساسي في عملية التسليع، هناك نظريات نقدية عديدة في هذا الأمر منها: الكتابان لهربرت ماركيوز: الإنسان ذو البعد الواحد، والثاني الجنس والحضارة، ويوصلنا الى النتيجة: تسليع المرأة، والهدف منه إدامة النمو الإقتصادي الذي وصل الى مرحلة ما بعد الاكتفاء.

بالقرون الوسطى وما قبلها، كان الإقتصاد يقوم على أنّ البشر بحاجة لكمية عالية من الإنتاج ولا يكفيهم، أما الآن فالإنتاج يزيد عن حاجة البشر. فالنمط الإستهلاكي **يريد استفزاز طاقات الشراء** والتسليع عند البشر، وهذا الإستفزاز من خلال المرأة، من خلال الإستفزاز الجنسي عبر المرأة للرجل. حيث تستخدم المرأة وصورتها في مجال البيع والشراء حتى في مجال الأحذية الرجالية، لأنّ ذلك يؤدي الى مزيد من النمو! مزيد من النمو المالي والتجاري.

هذه الخلفية الأساسية التي بنتيجتها وصلنا الآن الى مفاهيم مثل: الجندرة، الحرية الجنسية، المثلية، الأم العزباء، مكافحة الزواج المبكر. وصلنا أيضاً الى مجال آخر يتعلق بالرجل والمرأة وهو حرية الإدمان على المخدرات يعني حرية تدمير الإنسان لنفسه.

وصلنا بموضوع الطبيعة الى تفكيك قدرة الطبيعة على إعادة إنتاج نفسها، قدرة الأرض، بالمياه، بالموارد.

الآن يوجد تقرير دولي يقول أنّ الأرض خلال سنوات لن تستطيع إعادة إنتاج الموارد الطبيعية التي كانت تنتجها بسبب الإستنزاف، وهذا خطر فيزيائي شديد على البشرية. وبما أنّ العقل الغربي هو عقل أداتي ويقوم على إعادة هندسة الطبيعة ومن ثم إعادة هندسة البيولوجيا، وإذا كنتم على علم بمواضيع المزروعات فجزء من مشاكل القمح والذرة وغيرها هي بسبب التلاعب بالجينات الوراثية لهذه المزروعات التي خلقها الله لتتناسب مع الطبيعة والإنسان.

الآن يتلاعبون بالجينات الوراثية للإنسان لإعادة تصنيع الإنسان بيولوجياً بطريقة تتحكم فيها هذه الشركات الكبرى أي من خلال العقل الأداتي: كيف نسيطر على العالم؟، ثم كيف نسيطر على الطبيعة؟

ما يحصل الآن من خلال هذه المصطلحات التي ذكرتها هو إعادة تشكيل الجينات الوراثية لمجتمعنا، الهندسة المجتمعية، تحويل المجتمعات في العالم من الثقافات المتنوعة والمتعددة الى نموذج واحد معولم وهو النموذج الغربي الأداتي، الذي يعاد تأسيس كل الثقافات فيه على نمط واحد.

بغض النظر إن نجح هذا النمط أم لا، وأنا برأيي أنّه لن ينجح في الغرب، وبموضوع المرأة تحديداً في منع الإعتداءات عليها وإعطائها حقوقها الفعلية. لم ينجح، والدليل أن النقاش الغربي السائد هو حول عدم الوصول الى تحقيق حقوق المرأة رغم كل التشريعات ورغم كل النموذج الذي طُبق هناك.

لكن ما هي هذه النقاط التي يتم التركيز عليها؟ حقيقة هناك محاولة لاستفراد الطفل لوحده واستفراد المرأة واستفراد الرجل، لأنّ العقل الأداتي يقوم على سحب الحصانات المختلفة التي تحيط المرأة والرجل، وجعله فرديًا في مواجهة التسليع والحرب الثقافية التي تنالهم من كل مكان.

خلال الفترة الماضية ومهما كانت الدراسات حول طول الفترة البشرية يعني مائة ألف عام مثلاً، هناك طبيعة بشرية فطرية تقوم على تطور الجنس الانساني من خلال الفطرة، كون المسائل التي تتعلق بالفطرة هي التي تديم النوع الإنساني، في إستمرار النوع، وهذه المسائل ليست موجودة فقط في الهوية الإسلامية، ولكن الهوية الإسلامية شدّدت عليها من خلال القيم التي لها علاقة بالخير والمحبة والحنان والتضحية والإيثار والمروءة والعفاف والاخلاص والوفاء... هذه القيم هي التي تجعل النوع الإنساني قادراً على الإستمرار رغم الكوارث الطبيعية أو رغم المشاكل الإجتماعية والحروب.

هذا هو الإستهداف، إستهداف القيم، لأنّ العقل الأداتي يتعامل مع البشر كأرقام وكأشياء بنزع القيم الثقافية عنه ونزعه من القيم الثقافية، وتأتي الفردانية هنا لتقضي على هذا الإنتاج.

وباختصار، إذا راجعنا كلّ الدراسات وحتى الغربية: كيف ينمو الإنسان بشكل طبيعي في مسار ينمّي فيه قابلياته وملكاته العقلية والمعرفية والثقافية وتوازن شخصيته؟ **الإنسان يحتاج الى جماعة، وصلب هذه الجماعة هو الأسرة،** لا يمكن أن ينمو الإنسان معرفياً بطريقة سليمة من دون أسرة أو جماعة محيطة به.

حتى من ناحية الأبستمولوجيا، آخر طبعاتها تقول أنّ العلم لا يتطور في بيئة فردية، العلم يحتاج الى بيئة مشتركة للتفكير، يعني بيئة إجتماعية، ونمو المعرفة أيضاً هكذا، يعني الإنسان لا يمكن أن يتطور من دون لغة، اللغة بحاجة الى جماعة.

إنّ نزع الإنسان عن هويته الثقافية، ونزع المرأة تحديدًا، يجعلها من دون حصانة في مواجهة هذا الكمّ الهائل من الاستهداف التسليعي الإستهلاكي الغربي.

ما يؤدي الى تطور العلم هو الشكل الإجتماعي، اذن جعل الإنسان فرديا من خلال الحرية الجنسية، والمثلية التي تعني اكتفاء كلّ جنس بجنسه، ومثلا الحرية الجنسية في مقابل منع الزواج المبكر.

يعني اذاً الحرية الجنسية تبدأ من 14 سنة، لماذا منع الزواج المبكر؟ وبالتالي سحب المرأة من المجال الإجتماعي الى الفردانية والإستفراد فيها في إطار ثقافة معينة.

الجندر أيضاً بما يحمل من خلفية أيديولوجية، الهدف منه ضرب الأسرة المتكاملة، التي تؤدي الى نمو الإنسان بشكل متكامل، والى حصانة ثقافية وإجتماعية من استفراده أمام الهجمة الإستهلاكية الغربية.

هذه هي مجمل الفكرة، يعني الدفاع عن حقوق المرأة شيء واستخدام المصطلحات الغربية شيء آخر. إن إستخدام المصطلحات الغربية في هذه الطريقة يضرب الجماعات، والثقافات المتنوعة من بينها الهوية الإسلامية التي تحدثت عنها، وتركيزها على القيم الفطرية التي تعزز مناعة الإنسان.

نحن أمام إستغلال للمطالبة بحقوق المرأة، من خلال حرف النظر باتجاه نمط عولمة، يتمّ فيه توحيد النموذج الثقافي وهندسة إجتماعية لكل المجتمعات على نمط غربي استهلاكي، لم يثبت نجاحه ولن يؤدي الى إعطاء المرأة حقوقها، وبالتالي لماذا هذه المطالبة الدائمة لحقوق المرأة حيث طُبق هذا النموذج؟، فإذن استغلال المصطلحات وهذه الرؤية.

نحن نخضع الآن لعملية ثقافية إعلامية فيها إستغلال لحقوق المرأة، لهدف فيه تعزيز النمط الإستهلاكي الغربي، وليس للوصول لحقوق فعلية للمرأة، التي أهم ما عندها هو استمرارية النوع والأسرة وتنمية القابليات الفعلية التكاملية للإنسان في مساره.

وبالختام: هذا لا يعني أن لا نطالب بحقوق المرأة في مجتمعاتنا، نحن في مجتمعاتنا لدينا إمكانيات لتطوير رؤيتنا الإجتهادية لحقوق المرأة بما يتناسب مع ثقافتنا المحلية، بما يوجه اجتهادنا لصالح حقوق المرأة، لتبقى هذه الثقافة حيّة وتقدّم الخير للإنسانية من دون العودة الى النموذج الغربي، الذي أثبت كارثيته بالبيئة وبالهندسة البيولوجية، والذي يؤدي الى كارثة كبيرة في الهندسة الثقافية الحالية.

- ✓ **كلمة الدكتورة سحر حمود (استاذة في علم الاجتماع).**

تذويب الهوية الإسلامية وضرب مقوماتها من خلال إشاعة أجواء الفساد والإنحلال الأخلاقي خاصة لدى الشباب.

مقدمة:

من العناصر الجوهرية في جميع الثقافات، منظومة الأفكار التي تحدد ما هو مهم ومحبّذ ومرغوب في المجتمع. وهذه الأفكار المجردة أو القيم، هي التي تضفي معنىً محدداً، وتعطي مؤشرات إرشادية لتوجيه تفاعل البشر مع العالم الاجتماعي. وفي مقابل ذلك هناك المعايير والتي هي قواعد السلوك التي تعكس أو تجسد القيم في ثقافة ما. وتعمل القيم والمعايير سوياً على تشكيل الأسلوب الذي يتصرف به أفراد ثقافة ما إزاء ما يحيط بهم، وتتفاوت القيم والمعايير وتختلف اختلافاً بيّناً من ثقافة إلى أخرى.

إنّ بعض الثقافات تسبغ قيمة عالية على النزعة الفردية، بينما تشدد ثقافات أخرى على الاحتياجات المشتركة بين أفراد المجتمع، بل إنّ القيم قد تتناقض في المجتمع أو الجماعة الواحدة، فليس من المستغرب أن يواجه مجتمع ما صراعاً بين القيم الثقافية التي يعتنقها مختلف الأفراد والجماعات فيه (غيدنز، 2005، صفحة 83).

وكثيراً ما تتغير القيم والمعايير الثقافية بمرور الزمن، وكثير من المعايير التي قد تكون شبه مألوفة في كثير من المجتمعات الغربية، مثل العلاقات الجنسية قبل الزواج، هي من الأمور التي تتناقض مع القيم التي كان يحملها الناس قبل عدة عقود من جهة، وما تحمله المجتمعات الإسلامية حتى اليوم من قيم رافضة في هذا المجال. وكثير من تصرفاتنا وعاداتنا اليومية تستظل وتستهدي بمعايير ثقافية، وذلك ما نلحظه في سياق التفاعل الاجتماعي الذي نقوم به في حياتنا اليومية. كما

لا يقتصر الإختلاف بين الثقافات على المعتقدات الثقافية، إذ تُظهر المجتمعات البشرية درجات مشهودة من التنوع في الممارسات وأنماط السلوك، كما تتباين أشكال السلوك بشكل واسع بين ثقافة وأخرى. وما يبدو طبيعياً وسوياً في أحد المجتمعات قد يكون مغايراً بصورة صارخة لما يراه شعب اخر. فالخصائص السلوكية المختلفة تمثل جانباً من الفروق الثقافية الواسعة التي يمتاز بها مجتمع ما عن اخر.

وتلعب الثقافة دوراً مهماً في الحفاظ على القيم والمعايير في المجتمع، غير أنّها تفسح المجال كذلك للابتكار والتغيير.

إنّ الثقافات الفرعية والثقافات المضادة التي ترفض القيم والمعايير السائدة في المجتمع قد تشجع ظهور الآراء والاتجاهات التي تطرح بدائل للثقافة المهيمنة. والحركات الاجتماعية والجماعات التي تشترك في المواقف أو في أسلوب الحياة تمثل قوة فاعلة مؤثرة دافعة للتغيير في المجتمعات. وعلى هذا الأساس، فإن الثقافات الفرعية تتيح للناس الحرية للتعبير عن آرائهم والسعي إلى تحقيق ما يحملونه من تطلعات ومعتقدات. وإذا تتبعنا التغيرات في مفهوم الهوية الذاتية في المجتمعات التقليدية والحديثة، لرأينا ابتعاداً عن العوامل الثابتة الموروثة التي كانت في الماضي توجه تكوين الهوية. وإذا كانت هوية المرء في الماضي تتأثر بصورة أساسية بانتمائه إلى جماعات اجتماعية عريضة أو ترتبط بعوامل ذات صلة بالطبقة أو الجنسية، فإنّها الآن قد غدت اقل استقراراً وتعددت فيها الجوانب والأبعاد. كما أنّ عمليات النمو الحضري والتصنيع بالإضافة إلى تفكك التشكيلات الاجتماعية السابقة قد عملت كلها على التقليل من اثار القواعد والتقاليد الموروثة. وأصبح الأفراد أكثر حراكاً من الوجهتين الاجتماعية والجغرافية، وأدّى ذلك إلى تحرير الناس من الجماعات الكثيفة الترابط والمتجانسة نسبياً والتي كانت الأنماط القيمية والسلوكية تتحدر وتتسلسل بصورة ثابتة من جيل إلى آخر (غيدنز، 2005، صفحة 91).

ففواعل التغيير، أي الأشخاص والجماعات والجمعيات التي تدخل التغيير وتدعمه وتشجعه أو تعارضه، يكون تحركهم وفعلهم تبعاً لإلحاح وتحفيز مما تثيره في أنفسهم الأهداف والمصالح والقيم والمنظومة المعرفية (الأيديولوجيات)، التي تحظى بأثر حاسم في مصير مجتمع ما ومستقبله (روشيه، مقدمة في علم الاجتماع العام: التغير الاجتماعي، 2016، صفحة 37). وتعتبر العوامل الثقافية من المؤثرات في التغير الاجتماعي. فالعقائد الدينية قد تكون قوة محافظة أو حافزاً على الابتكار في الحياة الاجتماعية. وقد قامت بعض أشكال العقائد والممارسات الدينية بدور كابح للتغير بتأكيدها في المقام الأول على ضرورة التمسك بالقيم والشعائر التقليدية (غيدنز، 2005، صفحة 108).

وتتجسد أيضاً الثقافة في الجوانب الاجتماعية المتعلَّمة غير الموروثة، وتعتبر التنشئة الاجتماعية القناة الأساسية التي يجري فيها نقل الثقافة وانتقالها على مدى الأجيال. وعبر التنشئة الاجتماعية يتعلم الأفراد الأدوار الاجتماعية، أي التوقعات المعرّفة اجتماعياً التي يتوقع أن يحققها الفرد في أوضاع اجتماعية محددة. والأدوار الاجتماعية لا تنطوي على احتمال التفاوض أو ضرورة الابتكار، فهي تقدم وصفات واضحة لاحتواء سلوك الفرد وتوجيهه. ومن خلال التنشئة الاجتماعية يتلقّن الأفراد أدوارهم الاجتماعية ويتعلمون السبل الكفيلة بأدائها وتنفيذها. وعندما يبرز الخلل في التنشئة الاجتماعية بمؤسساتها المتعددة، يبدأ الفرد بممارسة أدواره المجتمعية بطريقة منحرفة،

وعندما لا تتوازن وتتقابل تطلعات الأفراد والجماعات مع ما يقدمه المجتمع من مكافآت أو حوافز ثوابية فإن الفجوة بين الرغبة وتحقيقها قد يدفع أفراد المجتمع إلى الانحراف.

وفي هذا الإطار طرح دوركايم مفهوم اللامعيارية / الضياع ليصف الشعور بالقنوط أو انعدام الهدف الذي يتولد لدى المرء بفعل عمليات التغير في العالم الحديث، مما يؤدي إلى فقدان المعايير الاجتماعية قدرتها على ضبط السلوك الفردي، كما أشار إلى أن المعايير التقليدية في المجتمعات الحديثة قد تتقوّض وتتآكل من دون أن تترسخ بدلاً منها مقاييس جديدة. ومن هذا المنطلق، رأى دوركايم أنّ هذا الوضع الذي تتساقط فيه المؤثرات الإرشادية في المجتمع سيؤدي إلى عدد من الظواهر الانحرافية، فالانحراف حقائق ووقائع اجتماعية وعناصر ملازمة لتطور المجتمعات الحديثة التي يتحرر فيها الناس من كثير من الضوابط والقيود التي كانت مؤثرة في المجتمعات التقليدية. ونظراً لأنّ العالم الحديث يتيح للمرء مجالاً أوسع من الخيارات، فإنّ ذلك من شأنه أن يفسح هامشاً أوسع من التحرر من الإمتثال والانصياع.، وهو يعتبر أنّ الإنحراف يقوم بوظيفة مجتمعية تسهم في وضع خط واضح يفصل بين ما هو سلوك "سيء" و"جيد" في المجتمع، مما يثير استجابة جماعية تعزز تضامن الجماعة وتؤكد المعايير الاجتماعية (غيدنز، 2005، صفحة 284).

ويرى علماء الاجتماع التفاعليون أنّ الانحراف لا يعود إلى عوامل أو عناصر فطرية، بل أنّ المجتمع هو الذي يلحق "وصمة" بأنماط السلوك التي تقوم بها جماعات محددة ويعرفها ويتعامل معها على هذا الأساس (غيدنز، 2005، صفحة 286). وحيث هناك ارتباط بين الانحراف وما يسمى تفاوت الجماعات والثقافات.

ففي مجتمع تنشط فيه عدة ثقافات فرعية، تميل أوساط اجتماعية معينة إلى تشجيع الأنشطة غير الشرعية في ما تقوم أوساط ومؤسسات أخرى بصدها والتصدي لها. وبموجب هذا الرأي، فإنّ

علينا أن نكتشف الأسباب التي يوصم فيها بعض الأفراد بالانحراف قبل أن نبدأ بفهم طبيعة الانحراف نفسه.

ويعتبر علماء الاجتماع الحديث أنّ العلمنة تعمل على انحسار دور الدين في جميع مجالات الحياة الاجتماعية لاسيما وأنها تؤثر على مكانة المؤسسات الدينية في المجتمع، مما يفقد التزام الناس بمنظومة العقائد والقيم (أي التدين) والمثل العليا التي يتمسك بها الناس. لذلك لا بدّ من أن ينظر إلى الدين على اعتباره نظاماً للفكر والعمل يقدم لأفراده إطاراً للتوجه وموضوعاً يكرسون من

أجله حياتهم (فروم، الانسان بين الجوهر والمظهر، 1989، صفحة 127). ويعتبر الطريق الأسهل لمواجهة الأديان في صفوف الشباب هو فتح سبل ممارسة الفساد والانحلال عبر الوسائل الإعلامية والوسائل الفنية والأدبية (العالم الاسلامي والغزو الثقافي، 2000، صفحة 38). فإشاعة الثقافة الخاطئة والفساد بين الشباب كهجوم ثقافي مكثّف يتحرك من خلال الضعف الداخلي لمجتمع من المجتمعات، بل أن الأصح أن الجهة الغازية هي من عملت على فرض هذا الضعف على المجتمع السليم بأدواته، وإمكاناته. حيث تتمثل احدى وسائل الغزو الثقافي بفك عرى ارتباط الشباب المؤمن بدعائم الإيمان، وإذا لم يكن الشباب والعناصر الثقافية يقظين فإن أصوات انهيار القيم المعنوية الناتجة عن الهجوم المعادي الخفي والذكي ستُسمع متأخرة عندما لا يكون الأمر قابلاً للعلاج (الثورة الاسلامية والغزو الثقافي، 2000، الصفحات 100-101).

وهنا لا بد من التركيز على وحدة القيم الاجتماعية لما لها من وظائف اجتماعية متعددة منها: تماسك النماذج لمجموع القواعد المجتمعية، وحدة الأشخاص النفسية للوصول إلى مستويات النضج، والتكامل أو التضامن الاجتماعي (روشيه، مقدمة في علم الاجتماع العام – الفعل الاجتماعي، 2002، صفحة 158). من هنا كان الحديث عن مسببات الإبتعاد عن التمسك بالقيم، أو العوامل المساعدة للتخلي عنها لاسيما فيما يتعلق بالإغتراب الذي يعيشه شبابنا اليوم عن ذاته ومجتمعه، وغياب النموذج القدوة الموجه للسلوك الفردي والجماعي وتأثير هذا التوجيه على الفرد والمجتمع.

تحديد المشكلة:

ينطلق البحث من سؤال إشكالي حول مسببات التأثير على الهوية الإسلامية عن طريق إشاعة الفساد والانحلال الأخلاقي لدى الشباب. وللإجابة على هذا السؤال، فإن الإشكالية التي سيطرحها البحث هي علاقة الاغتراب عن الهوية، وغياب النموذج لدى الشباب في التأثير على الهوية الإسلامية، وإشاعة الفساد والانحلال الأخلاقي داخل المجتمع. وذلك لما يوفره هذين المسببين من ضابطة اجتماعية داخل المجتمع.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى معالجة بعض مسببات التأثير على الهوية الإسلامية لدى الشباب ومدى إسهام هذه المسببات في إشاعة الفساد والانحلال الأخلاقي وذلك انطلاقاً من فرضية هي أن الاغتراب الذي يعانيه شبابنا على مستوى الذات، والجماعة، والمجتمع يؤدي إلى إشاعة اللامعيارية

والتمرد على المنظومة القيمية للمجتمع مما يؤكد أهمية وجود النموذج القدوة لتصحيح المسار المجتمعي.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث اليوم في ظل غياب الدراسات التي تناولت الموضوع لاسيما بالعلاقة التي تربط الهوية الإسلامية بالانحلال الأخلاقي. بل وجدنا بعض الدراسات التي تناولت كل مفهوم على حدى منها: دراسة "**الهوية الإسلامية للأقليات المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية: التحديات والحلول**" (حسين، 2015): حيث تناولت الدراسة الهوية الإسلامية ومصادرها ومقوماتها وأهميتها للأقليات المسلمة. وتوصلت إلى أن الهوية الإسلامية القوية لا تقوم إلا على مجموعة من الدعائم كالعقيدة والشريعة واللغة والأخلاق والفكر وان هناك العديد من التحديات التي تواجه الأقليات المسلمة في الغرب من ناحية التزامهم بهويتهم الإسلامية أبرزها ضعف العقيدة واللغة وقلة المعرفة بتاريخ الأمة وتراثها وثقافتها وقيمها. ودراسة "**الأمية الأخلاقية: المفهوم، النتائج، الأسباب، والحلول**" (الاحمدي، 2019): وتناولت الدراسة مفهوم الأمية الأخلاقية ومراتبها، نتائجها ومظاهرها، أسبابها واهم طرق مواجهتها. وتوصلت الدراسة إلى أن اهم مظاهر الأمية الأخلاقية هي ازدواجية الوعي الأخلاقي، انحلال الأنظمة الأخلاقية، انهيار المنظومة الأخلاقية. على أن العلاج يبدأ مع التربية والتنشئة الأخلاقية، البيئة الأخلاقية المساندة، ومجموعة من العوامل النفسية والسلوكية. وبالتالي تقدم دراستنا رؤية اجتماعية لعلاقة الهوية الإسلامية بالانحلال الأخلاقي من خلال العوامل المسببة والمشجعة لذلك لاسيما فيما يتعلق بمفهوم الاغتراب، وغياب النموذج القدوة. ودراسة "**الهوية الإسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة**" (حامد، 2002): تناولت مفهوم الهوية والتحديات التي تواجهها، ودور التربية ومؤسساتها في تدعيمها وتقويتها.

منهجية البحث والتقنيات المستخدمة فيه:

استخدم البحث الأسلوب الوصفي والمنهج التحليلي للتعرف على أثر الاغتراب وفقدان النموذج القدوة على الهوية الإسلامية وتجلي مظاهر الفساد والانحلال الأخلاقي والمجتمعي. وذلك بهدف رسم وصياغة سياسات عمل ثقافية واجتماعية وتربوية تعمل على صيانة الهوية الإسلامية لدى الشباب والمحافظة على بيئة اجتماعية متضامنة وسوية.

تعريف المفاهيم:

- **الهوية:** تتعلق الهوية بشكل عام بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون انه مهم في حياتهم. ويتحدث علماء الاجتماع عن نوعين من الهوية: الهوية الاجتماعية والهوية الذاتية (أو الهوية الشخصية)، وتشير الهوية الذاتية إلى عملية التنمية الذاتية التي نرسم من خلالها ملامح متميزة لأنفسنا ولعلاقتنا مع العالم حولنا. وفيما تعمل البيئة الثقافية والاجتماعية عملها في تشكيل هذه الهوية، فإن العامل والخيار الفرديين يقومان بدور مركزي مهم في هذا المجال (غيدنز، 2005، صفحة 90).
- **الإنحراف:** هو رفض أو حيادة أفراداً أو جماعات معينة عن القواعد التي يلتزم بها اغلب الأفراد أو المؤسسات في سياق اجتماعي محدد. بما يعني عدم الامتثال أو عدم الانصياع لمجموعة من المعايير المقبولة لدى قطاع مهم من الناس في الجماعة أو المجتمع (غيدنز، 2005، صفحة 280).
- **الإغتراب:** هو نمط الخبرة الذي يخبُر به الشخص انه غريب. ويمكن للمرء أن يقوم انه قد صار متغرباً عن نفسه، انه لا يخبُر نفسه على انه مركز عالمه، وموجه أفعاله، بل على أن أفعاله وعواقبها قد صارت سادته، الذين يطيعهم. والشخص المغترب بعيد عن التماس بنفسه كما بعيد عن التماس بأي شخص اخر. فهو يُخبر كما تُخبَر الأشياء بالحواس والفهم المشترك، ولكنه في الوقت ذاته لا يكون متواصلاً مع نفسه ومع العالم خارجه بطريقة إنتاجية (فروم، المجتمع السوي، صفحة 232).
- **القدوة:** هو الذي يقتدى ويحتذى به من حيث جعله أسوة ومثالاً ونموذجاً لسلوكيات وتصرفات الآخرين. والاقتداء هو طلب موافقة الغير في فعله، واتّباع شخصية تنتمي إلى نفس القيم التي يؤمن بها المقتدي، وعادة ما يمثل شخص المقتدَى به قدراً من المثالية والرقي والسمو عند أتباعه ومحبيه، والقدوة تنطوي في داخلها على نوع من الحب والإعجاب الذي يجعل المقتدِي يحاول أن يطبق كل ما يستطيع من أقوال وأفعال (حسن، 2011).

أولاً: الإغتراب عن الهوية:

تشمل ظاهرة الإغتراب مختلف أنماط الحياة الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، الدينية، والنفسية،.. ومع زيادة التناقضات والتغيرات التي يشهدها عصرنا الحالي تزداد مشاعر الإغتراب

لدى الأفراد وتتجلى بمظاهر العجز، العزلة، فقدان المعايير، واي معنى للحياة. ويشير الاغتراب إلى انهيار أي علاقات اجتماعية من خلال الفجوة التي تنشأ بين الفرد ونفسه من جهة، وبين الفرد والجماعة من جهة أخرى. فالاغتراب بين الإنسان والإنسان يؤدي إلى فقدان الروابط الاجتماعية، لأنّ الإنسان كائن اجتماعي ذو حاجة عميقة إلى المقاسمة والمساعدة والى الشعور بأنّه عضو في جماعة. كما نجده غير قادر على القيام بأدواره الاجتماعية وهي التي تتألف من قواعد ومعايير يخضع لها فعل الأشخاص الذين يحتلون موقعاً أو وظيفة خاصة في جماعة من الناس (روشيه، مقدمة في علم الاجتماع العام – الفعل الاجتماعي، 2002، صفحة 90). فالإغتراب يفسد القيم الإنسانية ويخربها، ويعلن الإنسان في مثل هذه الأحوال أن الفعاليات الاقتصادية والقيم التي تعمرها (مثل الكسب والعمل) أعلى قيم الحياة وحيثما يحدث هذا فلا يتأتى للإنسان أن ينمي ويطور القيم الأخلاقية الصحيحة للإنسانية التي تقوم "بغنى السريرة النقية والفضيلة وغير ذلك". وفي حال الإغتراب يتوقف كل مجال من مجالات الحياة، المجال الاقتصادي والأخلاقي على الآخر لأنّ كل مجال يحدد نطاقاً خاصاً للعمل البشري المغترب، وكل مجال يكون في حالة اغتراب أمام الاغتراب الآخر، حيث تنقلب حاجات الإنسان في مجتمع مغترب إلى ضعف وتبعية (فروم، ما وراء الاوهام، 1994، صفحة 55).

إنّ كل أشكال الاكتئاب والتبعية ليس تعبيراً مباشراً عن الإغتراب، أو تعويضات له فحسب، بل إنّ من نتائج الاغتراب أيضاً العجز عن أن يعرف الإنسان هويته. وهنا يجمل فروم حاجات الإنسان النوعية بأنّها: الحاجة إلى الارتباط، التجاوز، الترسّخ، الحاجة إلى الإحساس بالهوية، والحاجة إلى إطار للتوجه والإخلاص (فروم، المجتمع السوي، صفحة 23).

وكما هي الحال مع الحاجة إلى التواصل والترسخ والتجاوز، فإنّ الحاجة إلى الإحساس بالهوية شديد الأهمية والضرورة بحيث لا يمكن أن يظل سوياً إذا لم يجد سبيلاً ما إلى إشباعها. ومفهومات الأمة، الديانة، الطبقة، المهنة تفي بالحاجة إلى تأثيث الإحساس بالهوية. وليست مشكلة الإحساس بالهوية مجرد مشكلة فلسفية أو مشكلة لا تتعلق إلا بعقلنا وفكرنا. فالحاجة إلى الإحساس بالهوية تنشأ من الشرط الصميمي لوجودنا الإنساني. وما دمت لا أستطيع أن أظل سوياً من دون الإحساس ب "أنا"، فأنا مدفوع إلى القيام بأي شيء تقريباً لنيل هذا الإحساس. وخلق الشغف الشديد بالمكانة والتماثل تكمن هذه الحاجة الصميمية، وهي في بعض الأحيان اقوى حتى من الحاجة إلى البقاء

المادي. وماذا يمكن أن يكون أوضح من أن الناس يرغبون في المجازفة بحيواتهم، وفي التخلي عما يحبونه، وان يتنازلوا عن حريتهم، وان يضحوا بأفكارهم من اجل أن يتحدوا مع المجموعة البارزة ويتطابقوا فينالوا بذلك الإحساس بالهوية ولو أنّه إحساس وهمي (فروم، المجتمع السوي، صفحة 171).

وتتعدد أبعاد الإغتراب (شعيرة، 2013) **التي يعيشها الفرد داخل مجتمعه منها:**

- **اللامعيارية:** وهي حالة إنهيار المعايير التي تنظم وتوجه السلوك، ومن ثم رفض الفرد للقيم والمعايير والقواعد السائدة في المجتمع نظراً لعدم ثقته في المجتمع ومؤسساته.
- **العزلة الاجتماعية:** أي شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية، والبعد عن الآخرين حتى وان وجد بينهم.
- **التمرد:** وهو الرغبة بالخروج عن الواقع والخروج عن المألوف والشائع وعدم الالتزام بالعادات والقيم والمعايير السائدة والإحساس بضرورة الثورة والتغيير، وقد يكون التمرد على النفس أو على المجتمع أو على موضوعات وقضايا.
- **التشيؤ:** أي إدراك العالم على أنّه مجموعة الأشياء الخالية من البعد الإنساني، وسيطرة الجوانب المادية والمظهرية على مجريات الحياة، كما يشير إلى أن الفرد قد تحول إلى فقد إحساسه بهويته.
- **اللاهدف:** وهو شعور الفرد بالافتقار إلى وجود هدف واضح ومحدد لحياته، وليست لديه أية طموحات مستقبلية وإنما يعيش لحظته الراهنة فقط.
- **العجز:** وهو شعور الفرد انه لا يستطيع التأثير في المواقف التي يواجهها، كما انه لا يستطيع أن يتخذ قراراته أو يقرر مصيره، بل تحددهما قوى خارجية عن إرادته ومن ثم يشعر بالإحباط والعجز عن تحقيق ذاته.
- **اللامعنى:** أي شعور المرء بأنه لا يوجد شيء له قيمة أو معنى في هذه الحياة نظراً لخلو هذه الحياة من الأهداف والطموحات. أي الإدراك بعدم وجود علاقة بين ما يقوم به الفرد من عمل الآن وبين الأدوار المستقبلية.
- **الإغتراب عن الذات:** أي عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال كما يرغب في أن يكون عليه ويبين إحساسه بنفسه في الواقع.

وفي هذا الإطار عملنا على استطلاعاً إلكترونياً للرأي شمل 205 شابات ضمن بيئتنا الإسلامية بمختلف المستويات العلمية والمهنية ضمن فئات عمرية: 51% (20–30 سنة)، 19.7% (اقل من 20 سنة)، 19.2% (31–40 سنة)، و10.1% (أكبر من 40 سنة). وتم إجراء الاستطلاع بتاريخي 25 و26 تشرين أول 2019م.

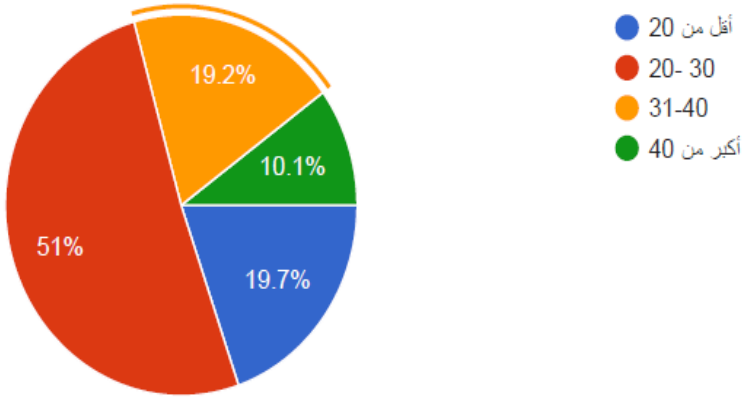

وشملت الأسئلة أبعاد ثلاثة للإغتراب مستوحاة من المقاييس المعتمدة لقياس الإغتراب النفسي والاجتماعي:

1. اللاهدف: وتجلّى بأسئلة حول تحديد وتحقيق الأهداف، القدرة على اتخاذ القرارات وفق الرادة الشخصية، القدرة على التحكم بأمور الحياة، ونظرة الفرد لأصل الوجود.
2. اللامعيارية: وتجلّى بأسئلة حول القيم التي توجه سلوك الفرد داخل المجتمع ونظرته إلى ما هو خطأ وصواب.
3. التمرد: وتجلّى بأسئلة حول مدى انسجام أو عدم تقبل الفرد لما هو مألوف وشائع من معايير وعادات.

- **على صعيد البعد الأول:**

فقد أظهرت النتائج أنّه لا مشكلة لدى العينة المستطلعة على صعيد تحديد وتحقيق أهدافها والإيمان بأهمية وجودها، إلا أنّه في الوقت نفسه شكّلت بعض العقبات تكريس مفهوم الهدفية داخل المجتمع

لديها على صعيد القدرة على اتخاذ القرار وفق الإرادة الخاصة، وحالة الملل والضجر التي تعيشها بنسبة عالية والتي تعود لعدة أسباب يمكن دراستها.

حيث أجابت نسبة 71.7% بقدرتها على تحقيق أهدافها، ونسبة 74.1% بأنّ لديها أهداف محددة تسعى إلى تحقيقها، ونسبة 71.1% قادرة على التحكم بأمور حياتها، ونسبة 71.2% تؤمن بوجودها في عالم يشكل أهمية بالنسبة لها.

في مقابل نسبة 44.9% (إمّا دائماً أو أحياناً) يصعب عليها اتخاذ قرار وفق إرادتها الخاصة، ونسبة 85.8% (إمّا دائماً أو أحياناً) ينتابها الضجر والملل، ونسبة 34.1% (إما دائماً أو أحياناً) تتمنى لو لم تكن موجودة في هذه الحياة.

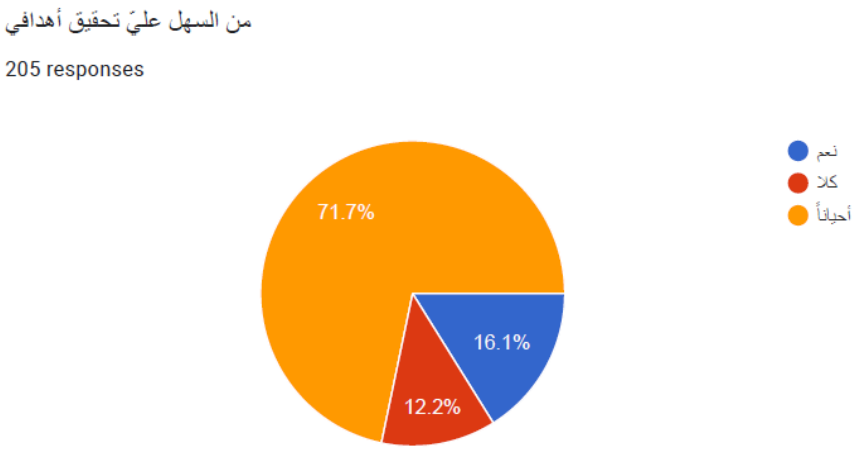

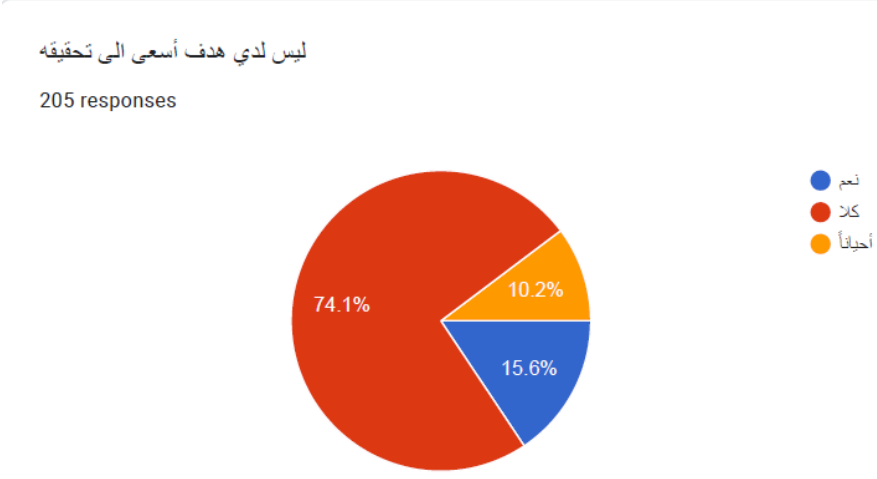

يصعب عليّ اتخاذ قرار وفق ارادتي الخاصة

205 responses

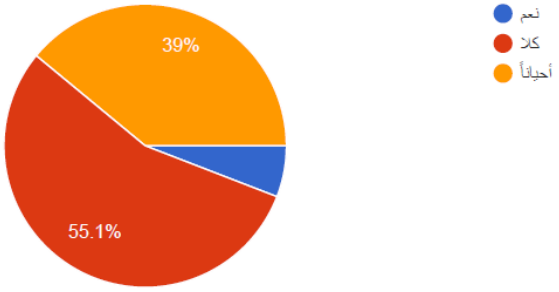

فقدت قدرتي على التحكم في امور حياتي

205 responses

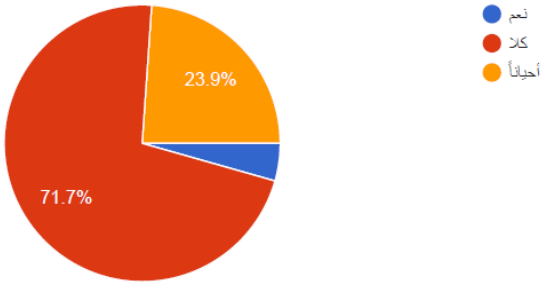

تنتابني نوبات من الضجر والملل

205 responses

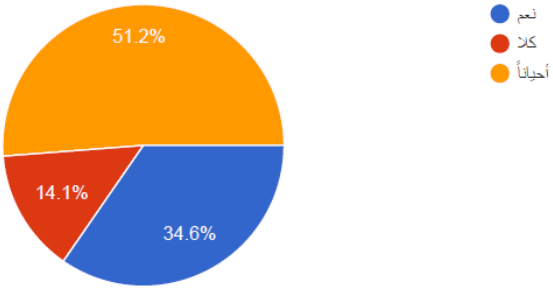

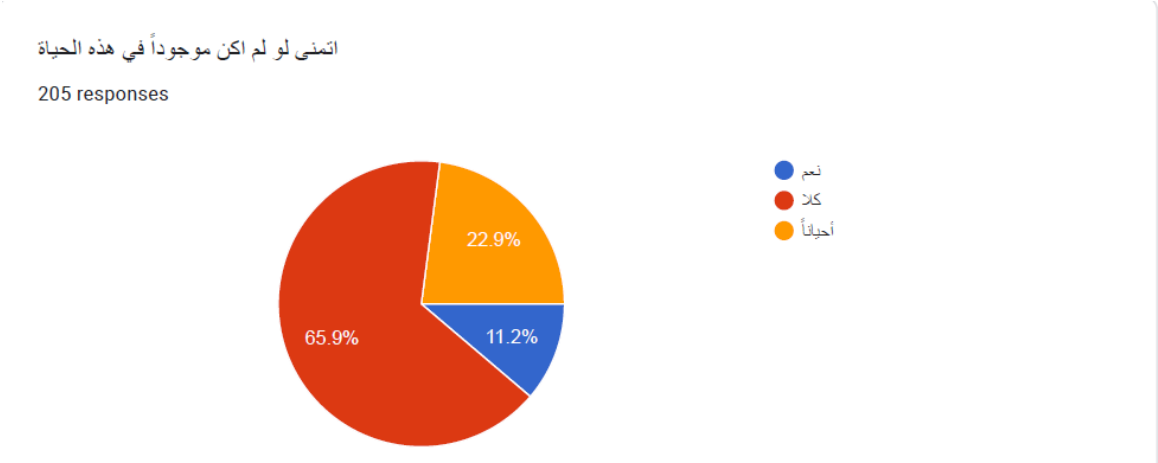

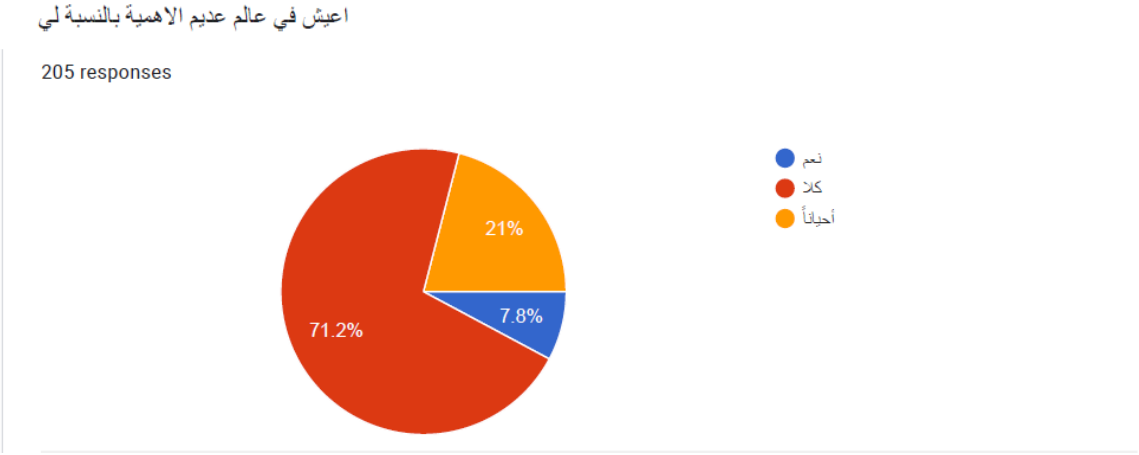

- **على صعيد البعد الثاني:**

فقد أظهرت النتائج مشكلة في المعايير التي تنظم وتوجه السلوك، مع بروز عدم ثقة لدى العينة المستطلعة بالمجتمع ومؤسساته. وبالتالي هناك مؤشر لمشكلة معيارية يؤدي انهيارها إلى مظاهر الانحراف المجتمعي.

حيث أجابت نسبة 75.7% (إما دائماً أو أحياناً) إلى أن معيار الحصول على العمل لا يتطلب كفاءة بل واسطة. مقابل نسبة 47.8% (إما دائماً أو أحياناً) أجابت بأنه يضطر الإنسان إلى النفاق، ونسبة 71.2% (إما دائماً أو أحياناً) انه اصبح كل شيء مباح لدى الناس لتحقيق أهدافها، ونسبة 43.9% (إما دائماً أو أحياناً) تؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، ونسبة 25.8% (إما دائماً أو أحياناً) تؤمن بأن كل إنسان يمكنه أن يحقق أهدافه بالطرق التي تحلو له حتى لو

كانت طرقاً ملتوية، ونسبة 49.8% (إما دائماً أو أحياناً) لم تعد تؤمن بوجود قيم في هذا الزمان، و45.9% (إما دائماً أو أحياناً) تؤمن انه لم يعد يوجد ما هو صواب وما هو خطأ في هذا الزمن.

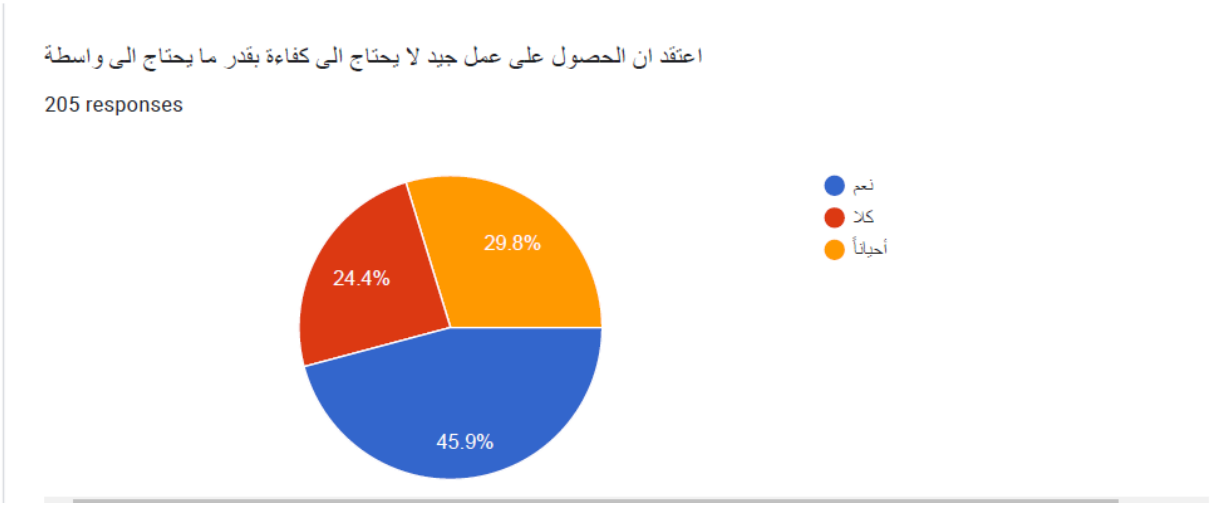

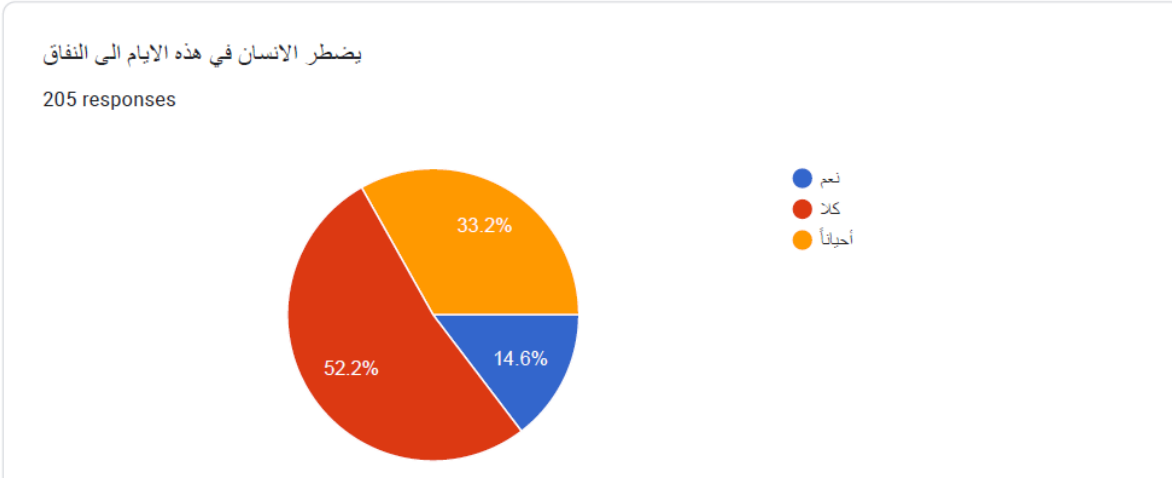

اصبح كل شيء مباح لدى الناس لتحقيق اهدافهم

205 responses

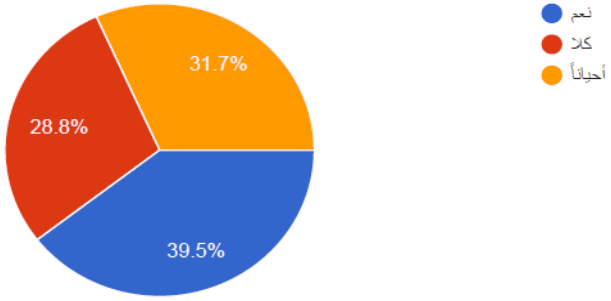

اؤمن بالمثل القائل الغاية تبرر الوسيلة

205 responses

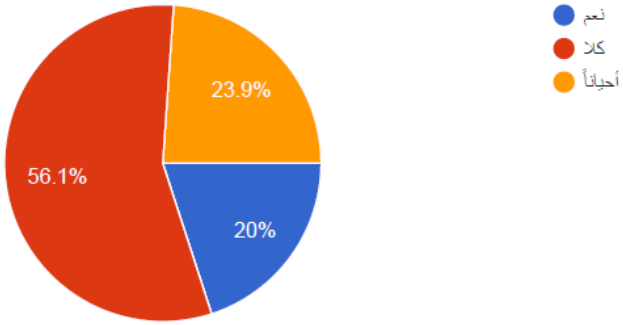

كل انسان يمكنه ان يحقق اهدافه بالطرق التي تحلو له حتى ولو كانت طرقاً ملتوية

205 responses

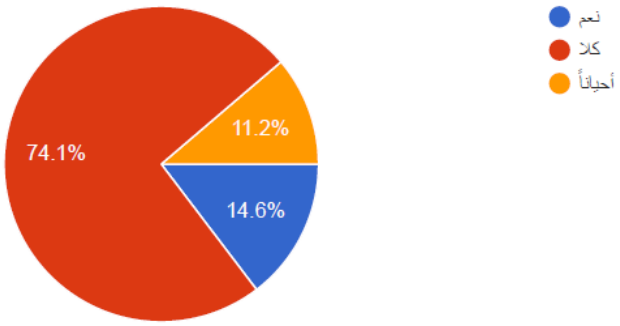

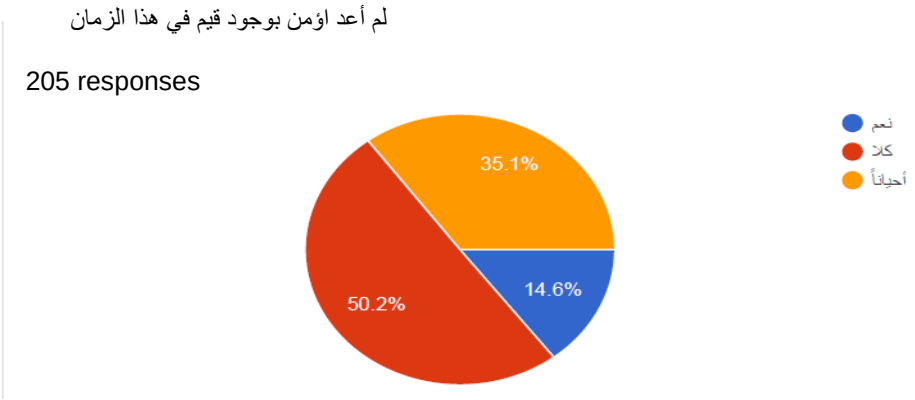

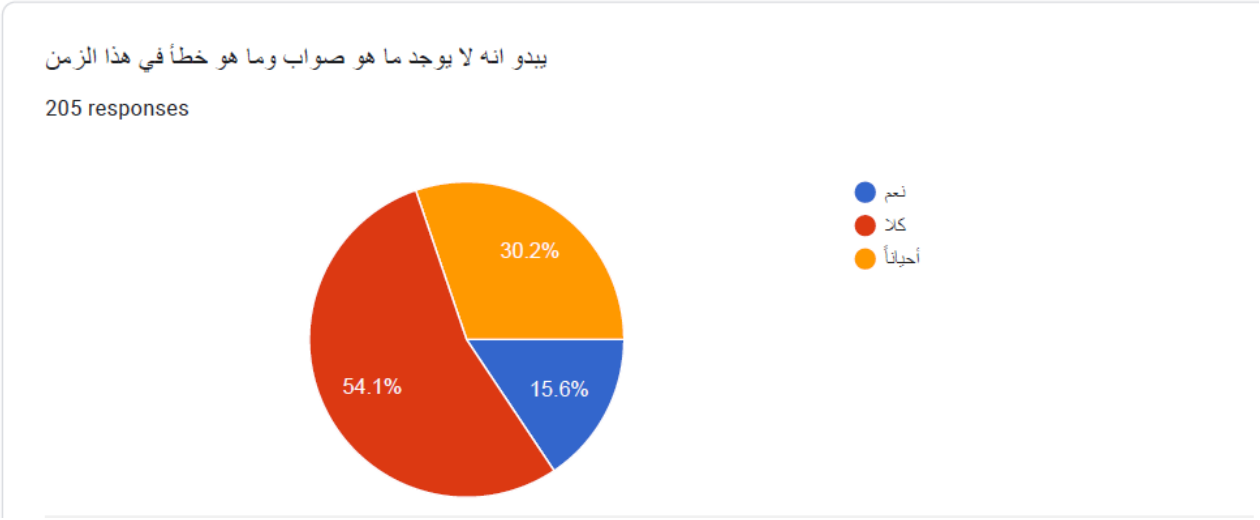

- **على صعيد البعد الثالث:**

أظهرت النتائج رغبة العينة المستطلعة بالتمرد على الواقع والرغبة بالثورة والتغيير.

حيث أجابت نسبة 54.6% (إما دائماً أو أحياناً) باعتماد نجاح الإنسان على حظه وليس قدراته، ونسبة 85.9% (إما دائماً أو أحياناً) تشعر بعدم الرضا تجاه القيم السائدة في المجتمع، ونسبة 31.2% (إمّا دائماً أو أحياناً) تشعر برغبة قوية بترك الدراسة أو العمل وربما يرتبط ذلك بالنسبة السابقة بالبعد الأول حول شعور العينة المستطلعة بالملل والضجر، ونسبة 72.2% (إما دائماً أو أحياناً) تعتقد بأنّ القوة أصبحت معياراً لحصول الإنسان على ما يريد، ونسبة 85.9% (إما دائماً

أو أحياناً) تعتبر أنّه لا بدّ من التمرد على الظروف التي نعيشها حتى تتغير إلى الأفضل، ونسبة 82.4% (إما دائماً أو أحياناً) تشعر بقسوة الحياة.

مقابل 87.3% لا تفضل استخدام العنف، بل المسالمة وعدم مهاجمة من يعارضها. وربما يعود ذلك كون العينة جميعها من الإناث وليس الذكور.

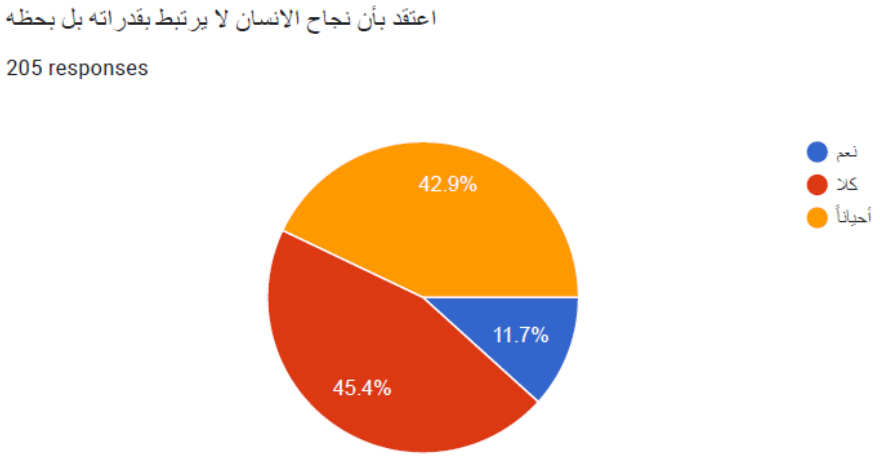

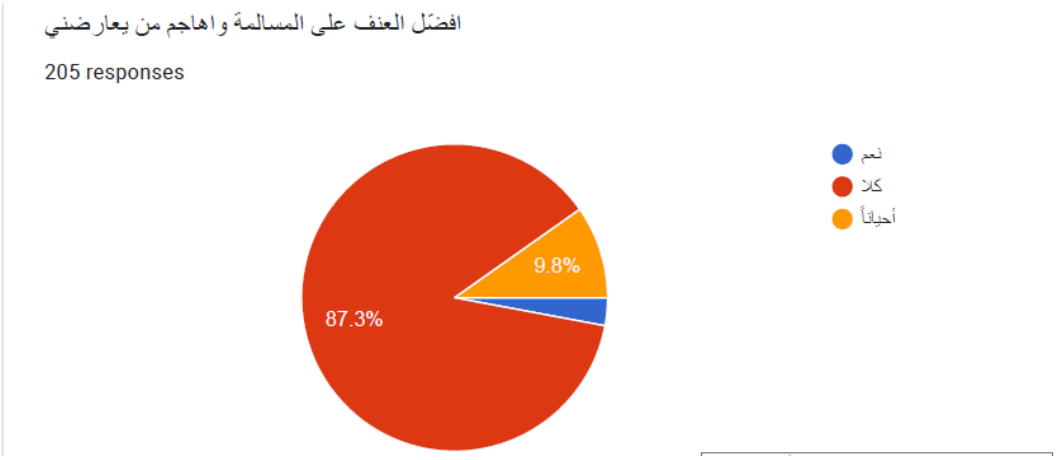

اشعر بعدم الرضا تجاه القيم السائدة في المجتمع

205 responses

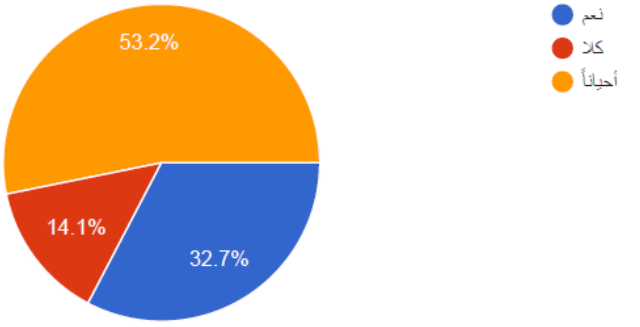

اشعر احياناً برغبة قوية لترك دراستي او عملي

205 responses

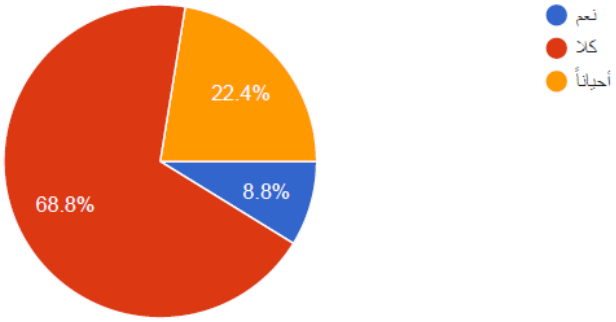

أعتقد بأن القوة أصبحت معياراً لحصول الإنسان على ما يريد

205 responses

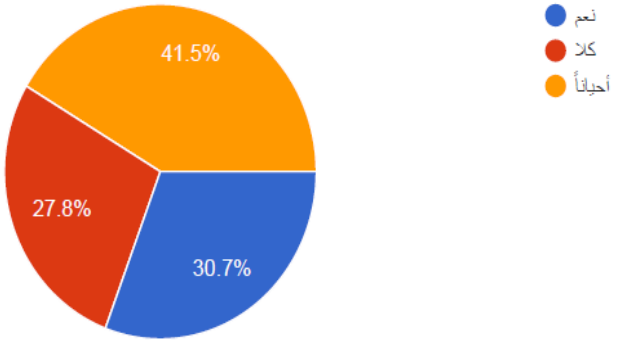

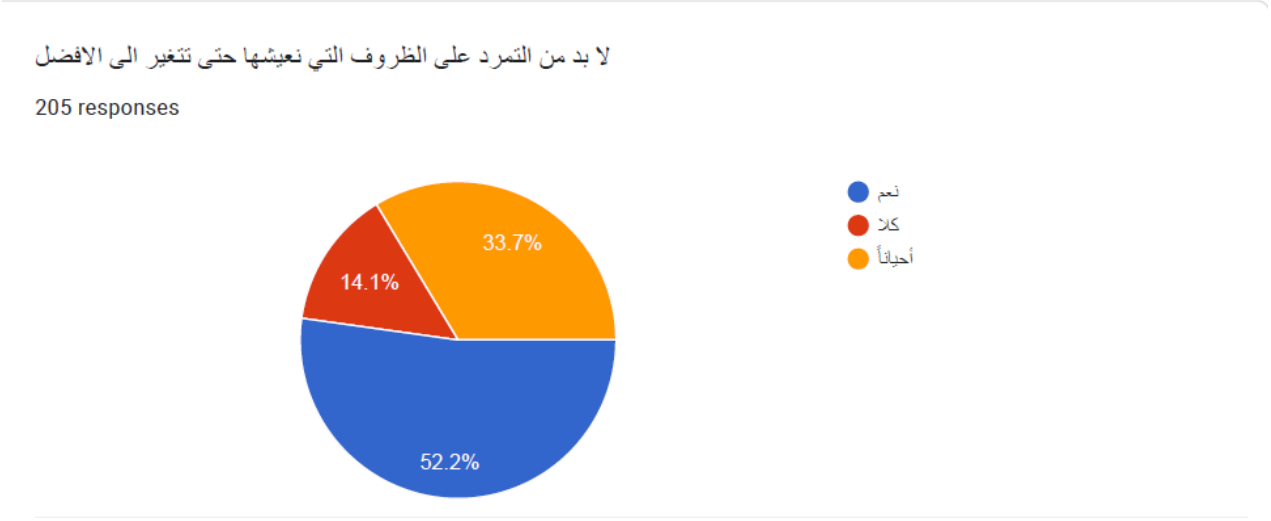

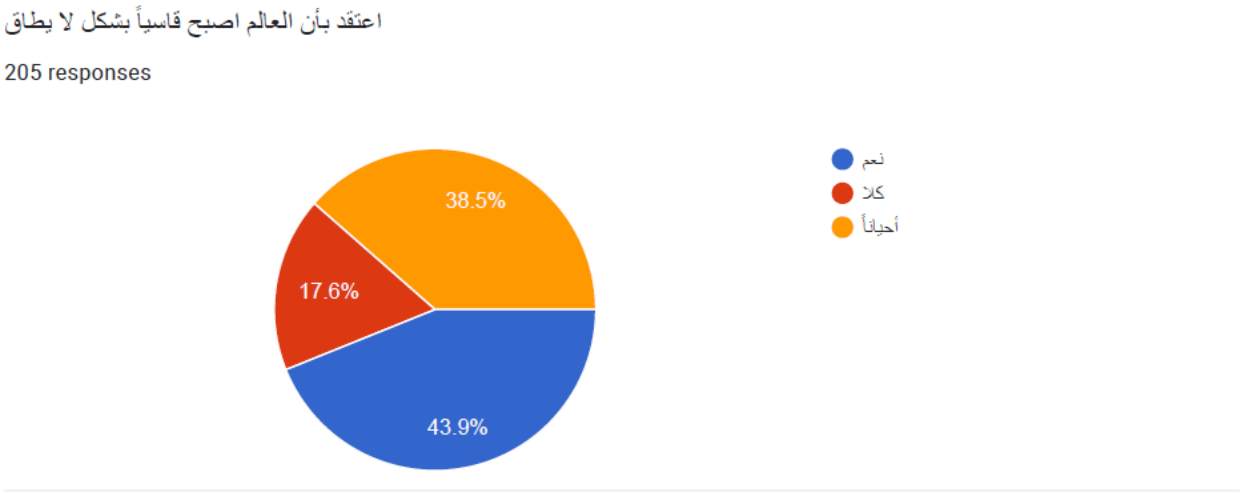

وهنا يتجلى الينا بوضوح حالة الاغتراب التي يعيشها شبابنا على صعيد القيم والعادات المجتمعية والحاجة إلى تغييرها والثورة عليها. وهو ما يؤدي إلى حالات الانحراف عما هو متعارف عليه ومألوف ويتجسد بحالات الفساد والانحلال الأخلاقي الذي يخالف هويتنا الإسلامية.

وفي المقلب الثاني، ولدى معالجة مفهوم الاغتراب، يظهر ارتباط وثيق بين ظاهرة الاغتراب وظاهرة النقل أو الإسقاط، وما يرتبط بصور التأليه لأشخاص السلطة في السياسة والدين والحياة الاجتماعية. وهنا يأتي اغتراب الفكر، حيث انه كثيراً ما يظن أحدهم انه انعم التفكير في شيء ما وان رأيه هو نتيجة لتفكيره النشيط، على انه عهد في الحقيقة بقدرته على التفكير إلى صحافي أو قائد سياسي أو أي جهة أخرى. فهو يعتقد أن هؤلاء عبروا عن أفكاره هو على حين يتبين هو في

الحقيقة أفكارهم على أنها أفكاره لأنه اختارهم لنفسه ليكونوا موضع محبته واعلى جهة للحكمة والمعرفة (فروم، ما وراء الاوهام، 1994، الصفحات 59-28).

من هنا ندخل إلى أهمية ودور النموذج القدوة في مساعدة الشباب على التخلص من ظاهرة الاغتراب وتوجيه سلوكهم بما يتوافق مع أهداف الجماعة والمجتمع.

ثانياً: النموذج القدوة:

تنقسم العوامل المؤثرة في قراراتنا للقيام بالأفعال الاختيارية إلى قسمين: العوامل الخارجية كالثقافة والآداب والتقاليد الاجتماعية والأصدقاء والمعلمين ووسائل الإعلام، والعوامل الداخلية نظير الصفات النفسانية. وتعتبر العوامل الخارجية هي المرشد والمحفز لسلوكنا (اسس الاخلاق: المنهج الجديد في تعليم فلسفة الاخلاق، 2011، صفحة 23). وبالتالي يتم تسليط الضوء اليوم على الحاجة إلى القدوة لما لها أثر في تقويم تصرفاتنا، أفعالنا، سلوكنا، وتوجهاتنا. وكل فرد يسعى إلى التغيير والتطوير سواء بشخصه أو جماعته أو مجتمعه ككل لا بد وان يقتدي بموجه يقوّم من خلاله سير عمله.

والقدوة تبدأ مع الإنسان منذ سنواته الأولى حيث يجد أمامه قدوة هي الوالدين، ومن خلال هذه القدوة تتشكل الصور الأولى للطفل عن العالم فيراه هانئاً منسجماً أو قاسياً مضطرباً. لكن قدوة الوالدين لا تبقى على حالها في مراحل العمر اللاحقة، فمن المؤكد أن الإنسان عندما يصبح أكبر سناً، وأكثر تجربة وأوسع اطلاعاً، ستتغير نظرته إلى القدوة، والى شروطها ومواصفاتها، التي كان يتطلع إليها. فالطفل الذي يتخذ والديه أول قدوة له في سنوات عمره الأولى سينتقل لاحقاً، إلى قدوة أخرى قد تكون معلم المدرسة أو رفيق الصف، أو أي شخصية أخرى رياضية أو سياسية وفقاً، للبيئة التي سيعيش فيها أو يتأثر بها...كما أن هذا الاختيار قد يتغير أيضاً، في مراحل النضج الأخرى بحيث تصبح القدوة فكرة أو عقيدة، أو حزباً، ينتمي إليه الإنسان... ما يزيد من أهمية القدوة ومن ضرورة متابعة تحولاتها وتأثيراتها المختلفة على الإنسان في مراحل عمره المختلفة وفي أدواره المتعددة في المجتمع. مع الالتفات إلى أهمية هذه القدوة والى أهمية تأثيراتها بحسب كل مرحلة من مراحل العمر (عتريسي، 2011). وبالتالي، لا يقتصر دور القدوة وتأثيراتها على الإنسان فقط على

مستوى بنائه التربوي فحسب بل تعمل على تشكيل اتجاهاته الفكرية والاجتماعية والسياسية... وصولاً إلى أدوارها المحتملة على بنية المجتمع وتأثيرها على مصادر قوته وتماسكه...

وما يزيد من أهمية ومن خطورة موضوع القدوة أنها باتت بفضل وسائل الإعلام الحديثة غير محددة المعالم تماماً، وتتوجه إلى أكثر من جيل، والى أكثر من فئة اجتماعية في وقت واحد...فباستطاعة وسائل الإعلام اليوم أن تتوجه إلى كل أفراد الأسرة في وقت واحد. وهي تتوجه إليهم في كل ساعات اليوم. وبات بمقدور الأغنياء والفقراء أن يشاهدوا الأفلام والمسلسلات نفسها والنماذج القيمية والثقافية التي تبثها الفضائيات ومواقع الإنترنت المختلفة من دون تمييز بين من يقدر على تقليد ما يدور فيها وبين من لا يجد قوت يومه لإشباع عياله... ما يجعل القدوة التي تبثها تلك الوسائل قدوة عالمية على مستوى الزي والأفكار والثقافة والسلوك والعلاقات ...تتجاوز الخصوصيات الثقافية والاجتماعية لهذا البد أو ذاك.. بحيث نشهد الإعلانات نفسها حول مساحيق التجميل وحول عروض الأزياء والعلاقات بين الجنسين والفنانين والممثلين.. من الولايات المتحدة إلى الصين وصولاً إلى بنغلادش وأفريقيا وباقي الدول الإسلامية (عتريسي، 2011)...

وتتعدد جوانب الجذب لدى الشباب إلى الشخصية القدوة، فهذا يتخذه قدوة بسبب وسامته وآخر لشجاعته، أو لأفكاره ونظرياته، وهكذا.... أما الجانب الآخر لهذه المسألة هو القداسة التي تسبغ على القدوة التي يتخذها الإنسان نموذجاً له بحيث يفقد في هذه الحالة أي حس نقدي تجاهها، بحيث لا يرى لتلك القدوة أي خطأ، ولا يرى في سلوكها أي نقص. ومن هنا ضرورة الاهتمام بالقدوة المناسبة التي يفترض الاقتداء بها. حيث يجب التمييز بين القدوة الإيجابية وأخرى السلبية. وتتشكل القدوة السلبية من خلال البيئة التي تحيط بالشاب، ومن خلال القيم التي ترتبط بهذه البيئة. لذا قد يلتحق المراهق بنموذج سلبي يؤدي إلى حالات الانحراف مثل الإدمان والجنوح وغيرها. بمعنى أن الانحراف أو تعاطي المخدرات لا يمكن تفسيره من خلال البعد الفردي فقط (أي من خلال مشكلة نفسية أو عائلية ...) بل ينبغي الالتفات أيضاً إلى بيئة الرفاق والى الجماعة التي يمضي فيها الشاب أوقات فراغه وتسليته بعيداً من رقابة الأهل أو مؤسسات المجتمع الأخرى. إذاً، القدوة السلبية هي نتاج بيئة جماعية. وهذا يفترض في كثير من الأحيان أن نبدأ بتغيير هذه البيئة، وتفكيك القيم والقدوة المرتبطة بها، قبل تغيير سلوك الأفراد أنفسهم.

وعندما يكون البيت قدوة سلبية (مشاكل بين الزوجين، اضطراب العلاقات العائلية...) سيهرب المراهق إلى قدوة أخرى. قد تكون غالباً قدوة سلبية لأنها ستكون مجرد بديل من دون التدقيق في محتوى هذا البديل إذا كان إيجابياً أو سلبياً. كما أن الشاب أو المراهق قد لا يملك القدرة أو حتى الاستعداد للتمييز بين السلبي والإيجابي في القدوة إذا كان الهدف هو الهروب من قدوة عائلية ...لذا هو يحتاج دائماً إلى الاهتمام والمتابعة والرعاية (عتريسي، 2011).

وهناك أنواعاً أخرى من القدوة؛ القدوة الناعمة والمقصود بذلك هو القدوة التي تتسلل الينا بهدوء وتدريجاً من خلال وسائل الإعلام. هذه القضية من اهم وأصعب القضايا التي تؤثر بشكل كبير على القدوة التي تقدم الينا. أولاً لأنها لا تتوجه إلى مرحلة عمرية محددة بل إلى كل مراحل عمر الإنسان. وثانياً لأنها لا تقدم القدوة غالباً بشكل مباشر، بل تتشكل عناصر هذه القدوة من خلال التكرار والإيحاءات والصور التي تتحول بمرور الوقت إلى قدوة. ومصدر هذه الخطورة هو في ما يمكن أن نسميه التسلل الهادئ والناعم للأفكار وللنماذج التي تتحول بمرور الوقت ومن خلال التكرار إلى قيم جديدة نقتدي بها فتغير ليس فقط من طريقة تفكيرنا وبل من طريقة تصرفنا في الحياة. بحيث لا ننتبه في معظم الأحيان إلى أن مواقفنا تجاه هذه القضية أو تلك قد تغيرت. أو أن إعجابنا بهذه الفكرة قد تبدل إلى فكرة أخرى جديدة لم نكن نقبل بها سابقا (عتريسي، 2011).

ومن الأمثلة حول هذه الأفكار التي تقدم للشباب، العيش المنفرد بعيداً عن الرقابة الاجتماعية، العلاقات الجنسية قبل الزواج، وغيرها من المفاهيم التي تركز أن أساسها هو حرية الفرد وحقه في قبول ورفض ما يراه مناسباً بعيداً عن الاتفاق والقبول الجمعي. وشبابنا خصوصاً في المجتمعات الإسلامية، الذي يشاهد هذا النمط من الحياة ويقارن بينه وبين حياته حيث الضوابط الأخلاقية والدينية والسلوكية والأسرية المختلفة. يصبح مشدوداً إلى تقليد ذلك النموذج ويطمح إلى الاقتداء بما يراه.

وهذا الأمر هو أحد اهم أسباب تلك الرغبة الجامحة لدى الكثير من الشباب في البلدان الإسلامية لمغادرة بلدانهم إلى الغرب ظناً منهم بأن ما يرونه في السينما وفي الفضائيات هو حقيقة سهلة يمكن الحصول عليها بمجرد أن تطأ أقدامهم تلك البلاد... إن ما يحصل على هذا الصعيد أن نظاماً جديداً من القيم يحل تدريجياً محل نظام آخر.. وعندما يختار الشاب الغرب قدوة له فإن الأمر سيؤدي تدريجياً إلى الالتحاق بنظام القيم المرتبط بهذا النموذج. ولأن هذا الانتقال لا يحصل

بسهولة ولأن الإنسان لا يتخلى ببساطة عن نظامه القيمي الذي تربى عليه وعاش في ظله سنوات فإننا نشهد حالات كثيرة من الارتباك ومن القلق لدى الكثيرين حتى بعد اختيارهم الغرب قدوة ونموذجاً لهم. ليس فقط لأنهم قد يكتشفوا أن هذه القدوة لم تكن كما توقعوا بل لأن الانتقال نفسه من قدوة إلى أخرى ومن نموذج قيمي إلى آخر يترافق مع مخاض صعب يتأرجح فيه الإنسان بين هذا وذاك قبل أن يستقر في مرحلة لاحقة على قدوة محددة، وقد يبقى في مثل هذا التأرجح النفسي والقيمي سنوات طويلة من دون أي استقرار... وهناك القدوة الملتبسة وهي عندما نقدم نموذجاً فكرياً أو سياسياً أودينياً أو سلوكياً ولا نلتزم تماماً بما يفترضه هذا النموذج. ينطبق ذلك على الشخصيات الدينية التي تتحدث عن فضائل الآخرة وهي احرص الناس على الدنيا وما فيها. وعلى الهيئات المدنية التي ترفع شعار محاربة الفساد، وتحوم حولها الشبهات والتهم. إن الالتباس ينشأ من التداخل الذي يحصل بين الصح والخطأ أو بين الحق والباطل. بين ما يدعو اليه هؤلاء من حق وبين ما يمارسونه من باطل أو من خطأ (عتريسي، 2011). وهنا تتعدد توصيات الدراسات حول العمل على تعزيز ثقافة القدوة والنموذج بما يملك من صفات لا بما يمثل من موقعية، إضافة إلى التأكيد على ثقافة الاقتداء العملي تجاه العوامل التي هي محل جذب في النماذج القدوة وليس مجرد الإعجاب بها (دراسة المربي القدوة، 2018). لاسيما وان التحول الأخلاقي لاسيما لدى الفئات الشبابية هو أسهل وأعمق ولا يتطلب جهداً كما الآخرين، وهو ما يحتاج إلى أسلوب تأثيري يتمثل بتقديم النصح الأخلاقية من خلال العمل بها وليس من خلال الخطب والشعارات أو وسائل الدعاية (توجيهات اخلاقية من احاديث السيد القائد، صفحة6).

إن الاختيار الناجح للقدوة يشكل مقدمة أساسية للتخلص من حالات الاغتراب، وهو خطوة أساسية لمساعدة أفراد المجتمع بالتخلص من القيم الزائفة التي أدخلتها الثقافات الغربية. وبالتالي يشكل هذين المفهومين أي الاغتراب، والنموذج القدوة نقطة انطلاق في المحافظة على الهوية الإسلامية والتخلص من مظاهر الانحلال والفساد.

الخلاصة:

إننا في عالم اليوم نتمتع بفرص غير مسبوقة لنصنع أنفسنا ونشكل هوياتنا المتميزة. فمواردنا تكمن في أعماق نفوسنا لتعريف أنفسنا، ولتحديد من أين أتينا والى أين سنتوجه. وقد غدت علامات

الطريق التقليدية اقل بريقاً وتأثيراً وضرورة، وأصبح العالم الاجتماعي يواجهنا بتشكيلة واسعة ومحيرة من الخيارات والإجابات عن هذه الأسئلة من دون أن يزودنا بأية إشارات لتحديد ما نؤثِرُه من الخيارات. ويرغمنا العالم الحديث على أن نكتشف أنفسنا وبفضل قدرتنا بوصفنا بشراً واعين لأنفسنا ومدركين لقدراتنا فإننا نخلق هوياتنا، ونعيد خلقها على الدوام (غيدنز، 2005، صفحة 92).

إنّ بحثنا "تذويب الهوية الإسلامية وضرب مقوماتها من خلال إشاعة أجواء الفساد والانحلال الأخلاقي خاصة لدى الشباب"، قد قدم رؤية اجتماعية من خلال معالجته لمفهوم الاغتراب عن الهوية التي يعانيها شبابنا، وأثر هذا الاغتراب على عدم قدرتهم على الاندماج والتكيف الاجتماعيين، مما أدى إلى توجهات لامعيارية لديهم تطالب بالتغيير عما هو مألوف ومتعارف عليه. وهذه التوجهات تستدعي وجود نماذج للاقتداء بها لتعمل على تصحيح مسار شبابنا بما يتلائم مع قيمنا وتوجهاتنا الإسلامية.

إنّ شبابنا اليوم، لا بد وان ينالوا الاهتمام المناسب في هذه المرحلة التي تعتبر حساسة وخطيرة، نظراً للدور المتزايد لهذه المرحلة في التغيير السياسي والاجتماعي؛ وفي التأثير على مستقبل أي أمة في مشروعاتها وخططها للتنمية من جهة، أو لحماية نفسها من الأخطار أو التهديدات المختلفة التي قد تواجهها. ويعتبر الشباب من اهم مصادر هذه المرحلة، لذا نجدهم موضع اهتمام الأحزاب والحركات السياسية والاجتماعية وتعمل العديد من المؤسسات البحثية ومراكز الدراسات إلى الاهتمام بهذه القضية على المستويات النّظرية والعملية ومن جوانبها النفسية والاجتماعية والأنتروبولوجية...

لذلك، لا بد من العمل على برامج توعوية؛ تربوية، اجتماعية، نفسية، سياسية، ودينية. وذلك بناءاً لتقصي مسبق لاحتياجات شبابنا الفردية والمجتمعية، وكيفية توفير سبل تأمينها. والانتباه إلى القيم والنماذج التي لا تتوافق مع منظومتنا المعرفية وهي تتسلل بيوتنا من خلال المناهج المدرسية والجامعية، والبرامج الإعلامية، وغيرها من المجالات.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أهمية تعزيز المسؤولية الاجتماعية، وتفعيل أدوارنا الاجتماعية بمختلف أبعادها سواء داخل المنزل، العمل، أو المجتمع. لان هذه الظواهر لا يمكن معالجتها بعيداً عن التضامن الاجتماعي الذي يجب أن يتشكل لمواجهتها.

المصادر والمراجع:

- ***احمد ضياء الدين حسين. (2015). الهوية الاسلامية للاقليات المسلمة في المجتمعات غير الاسلامية: التحديات والحلول. اليرموك.***
- ***اريك فروم. (1989). الانسان بين الجوهر والمظهر. عالم المعرفة.***
- ***اريك فروم. (1994). ما وراء الاوهام. دار الحوار للنشر والتوزيع.***
- ***اريك فروم. (بلا تاريخ). المجتمع السوي.***
- ***اسس الاخلاق: المنهج الجديد في تعليم فلسفة الاخلاق. (2011). بيروت: جمعية المعارف الاسلامية الثقافية.***
- ***الثورة الاسلامية والغزو الثقافي. (2000). بيروت: مركز الامام الخميني الثقافي.***
- ***العالم الاسلامي والغزو الثقافي. (2000). بيروت: مركز الامام الخميني الثقافي.***
- ***انتوني غيدنز. (2005). علم الاجتماع. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.***
- ***توجيهات اخلاقية من احاديث السيد القائد. (بلا تاريخ). جمعية المعارف الاسلامية.***
- ***خالد ابو شعيرة. (2013). الاغتراب في النسق الاجتماعي لدى الشباب الجامعي في ضوء بعض المتغيرات. مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات التربوية والنفسية، 99-134.***
- ***(2018). دراسة المربي القدوة. بيروت: مركز الابحاث والدراسات التربوية.***
- ***طلال عتريسي. (2011). القدوة ضرورتها وتحولاتها. بيروت: منتدى الفكر اللبناني.***
- ***عبد القوي ابراهيم الاحمدي. (2019). الامية الاخلاقية: المفهوم، النتائج، الاسباب، الحلول.***
- ***علي الحاج حسن. (2011). القدوة اهميتها ودورها. بيروت: منتدى الفكر اللبناني.***
- ***غي روشيه. (2002). مقدمة في علم الاجتماع العام - الفعل الاجتماعي. بيروت: مكتبة الفقيه.***
- ***غي روشيه. (2016). مقدمة في علم الاجتماع العام: التغير الاجتماعي. بيروت: مكتبة الفقيه.***
- ***كمال عجمي حامد. (2002). الهوية الاسلامية ومتطلباتها التربوية في ضوء التحديات المعاصرة. مصر.***

✓ كلمة الدكتور أحمد الشامي (باحث اجتماعي واستاذ جامعي).

تشويه صورة الإسلام تحت عناوين متعددة المرامي والأهداف – الحركات التكفيرية

تتهيأ البشرية إلى ما يمكن وصفه "بالولادة الجديدة" حيث العودة للاستضاءة بأنوار الحقيقة الكاملة، التي انشغلت عنها النفس البشرية حين تصاغرت أمام المحدود والناقص في انقياد غير واع يحاكي ميلها نحو متاع الشجرة الملعونة، ما أفقد تلك النفس سعادتها الحقّة. ولنكن صريحين، إنّ هذا الانشغال الذي ساد على الرغم من تتابع الأنبياء والرسل والأئمة لم يكن بفعل أبالسة الجن وحدهم، بل بفعل إسهامات من أبالسة الإنس أيضًا، سيّما، أولئك الذين ادعوا زورًا الانتساب إلى جماعة الدعاة لرسالات السماء، وهم في الواقع من أكثر الجنود إخلاصًا لإبليس. وليتهم اكتفوا بادعاء الدعوة للحق، بل جعلوا من أنفسهم محتكري الحقيقة وحرّاسها، وراحوا يكفّرون ويلغون كل من يعارضهم ولو على سبيل طرح السؤال.

وحتى لا توسم البشارة بنهاية التكفير على أنّها مجرّد يوتوبيا، سيّما، في ظل ما تشهده المجتمعات من تعقيدات عمّقت المسافات فيما بينها وزادتها بعدًا عن إدراك الحقيقة الكاملة، خصوصًا، المجتمعات الإسلامية التي أدماها– ولا يزال– التناحر بين مكوناتها؛ فإننا نقدّم هذه الورقات، على محدودية عددها، بوصفها محاولة جادة لإسناد هذا الطرح بقراءة موضوعية، تفترض إلى جانب صوابيّة القول بنهاية التكفير ـ إنشاء الله ـ إطلاق حوار جاد بين مختلف الأيديولوجيات والمذاهب، سيّما، بين ما يعرف بالإسلام السني وبين الإسلام الشيعي.

نأمل ذلك، والله ولي التوفيق .

ننطلق في طرحنا هذا من منهجية ثبت جدواها، تقوم على استحضار ما أمكن من أدلّة وبراهين عقليّة وموضوعيّة تدعم الطرح، وتعمل في الوقت عينه، على استثارة المزيد من الإشكاليات حوله، فهذا من شأنه أن يدفع الطرح نحو دائرة النقاش الذي يستدرج العقول لمد اليد وإشراكها في بلورته أكثر. لذلك، تُقدّم موضوعات هذا الطرح بوصفها مسائل للنقاش، تبدأ في تحرير مفهوم التكفير وعلائقه بمفهوم الكفر، لما لذلك من انعكاس على جدوائية الطرح نفسه.

المسألة الأولى: بين التكفير والكفر

يرافق شياع مفهوم التكفير وتنامي حضوره في الاجتماع البشري طرح المزيد من الإشكاليات، وبالتحديد، حين يجري لصقه بمفهوم الكفر. ففي المجتمعات المسلمة، يقف المسلم حائرًا، حينما يُسأل عن التكفير بكل ما يحدثه من سلبيات في ظلّ انتشار مفهوم الكفر في أكثر من موضع في القرآن الكريم[1]، ما يوحي وكأنّ الإسلام هو دين تكفيري. لذلك، تفرض مسألة الوعي التنبّه إلى نحت التباين بين المفهومين، لما يشكله تحريرهما من انعكاس على جوهر الطرح. وتحضر في هذا المجال، إلتفاتة للفيلسوف الفرنسي " فولتير"[2] حين قال: قبل أن تتحدث معي حدد مصطلحاتك.

من جهة الكفر، يجدر الالتفات إلى اقتران حاصل بينه وبين الإيمان[3]، فالإيمان بموضوع ما هو الكفر بنقيض هذا الموضوع. على سبيل المثال، يُعدّ الإنسان المؤمن بالتوحيد هو بالضرورة كافر بالتثليث، وأنّ المؤمن بالشيوعية هو كافر بالرأسمالية، والعكس صحيح. وهذا ما يعني، بأن كل إنسان يؤمن بما يعتقد به هو كافر بنقيض هذا الاعتقاد، ويعني أيضًا، أن الإيمان والكفر هما تعبيرات نابعة من الذات عن حقيقة ما تعتقد.

وبذلك، تصير جدليّة الكفر والإيمان هي من محددات الهوية، اتجاه الذات والآخر. وقد أكد على ذلك رب العالمين، بقوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ [4].

أمّا لجهة التكفير، فهو إسقاط من الآخر ينفي ما تظهره الذات من اعتقاد، مثال على ذلك، حين يجري نعت الموحّد لله أنّه كافر بالتوحيد، والقول للشيوعي أنك رأسمالي، وإطلاق صفة الكفر بالله على المعلن لإسلامه. ويعدّ هذا المنحى الإسقاطي من أشدّ أشكال الاعتداء على الإنسان وهويّته. لذلك يجري توصيفه بأنه سلوك ينافي العدالة التي تقتضي بأن لا يتجاوز الإنسان – أي إنسان – الحدود التي تجعله يحكم على الآخر بعكس ما يظهره من اعتقاد، وقد نهى الله عن ذلك، بقوله

---

[1] ورد ذكر الكفر في القرآن الكريم ب51 صيغة، وفي 524 موضع.

[2] فرانسوا ماري آروويه المعروف بشهرته فولتير، هو كاتب وفيلسوف فرنسي عاش خلال ما يعرف بعصر التنوير.

[3] ورد ذكر الإيمان في القرآن الكريم ب67 صيغة، وفي 878 موضع.

[4] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 256.

تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[5]. وبذلك، فيما يصير الإيمان والكفر من محددات الهويّة اتجاه الذات والآخر، يذهب التكفير نحو الاعتداء على هوية الآخر. وهذا ما يأخذ الطرح نحو تبيان معالم هذا الاعتداء.

المسألة الثانية: التكفير اعتداء على الهوية

حين يذهب التكفير لينفي ما يظهره الإنسان من اعتقاد، إنّما يصوّب نحو أحد أهم مرتكزات هويته، في سعي منه ليحدث فيها الاهتزازات الآتية:

يهدف التكفير إلى النيل ممّا حققه إيمان الإنسان من إجابات عن أسئلته الحائرة، حول وجوده وعن الكون والحياة، والذي يشعره الاتصال بالقوة الحاكمة لهذا الوجود. وبذلك، فإذا ما استسلم الإنسان لنعت التكفير فإنه يفقد هذا الاتصال، ويفقد معه اطمئنانه النفسي واستقراره الفكري.

كما يهدف التكفير للنيل من رؤية الإنسان لوجوده بعد الموت، حتى إذا ما اعتقد أن إيمانه هو سبيله للخلاص والنجات في تلك الدار الآخرة، فإن رضوخه لنفي الإيمان يدخل مصيره الأخروي في دائرة المجهول.

ويستهدف التكفير انتماء الإنسان الاجتماعي وما يوفره له من امتيازات وحماية، ويعدّ ذلك من أخطر الاستهدافات، لأن الثابت على إيمانه لا يضيره إنكار الآخرين له؛ لكن إخراجه من دائرة الجماعة التي ينتمي إليها سيفقده ما توفره له من أمان اجتماعي.

فالمسلم على سبيل المثال، له احترامه وحقوقه بين جماعة المسلمين، بدءًا من تحية السلام عليه، حيث يرى البعض أنها تختص بالمسلم دون سواه، مرورًا بطهارته، وحمله على الصحة في أقواله وأفعاله، وحقه دخول المساجد والحرمين الشريفين، والتزاوج والإرث، والدفن في مقابر المسلمين، وقبول الشهادة، وإمكان تبوئه المناصب القيادية كالقضاء والولايات ورئاسة الدولة. بالإضافة إلى استحقاقه الحماية والنصرة، وصولًا إلى عصمة دمه وماله. ولكن، مع نفي صفة الإسلام عنه، تسقط تلك الحقوق والامتيازات، سيّما، لجهة هدر دمه وماله وعرضه. وبذلك، بات التكفير في نفيه لعقيدة الإنسان يبيح نفيه لوجوده في الحياة، ما يجعل التكفير اعتداء على أصل الدين لأنه اعتداء على الإنسانية.

[5] القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 94.

المسألة الثالثة: التكفير، اعتداء على الدين

تأتي خطورة التكفير لا من كونه رأيًا مجرّدًا فقط، إنّما لما يترتّب على ذلك من استباحة للأنفس والأعراض والأموال، بمجرد الإختلاف المذهبيّ أو الفكريّ أو السّياسيّ، وقد بدا ذلك واضحًا، فيما شهدته المجتمعات البشرية من أعمال للعنف والقتل بعلّة حفظ الدّين ونشره. إذ يجعل التكفير من الدين أداة لتمزيق المجتمع وتشويه هويته، حيث يعمّق المسافات بين الجماعات البشرية، ويزيد الخلافات بين أتباع المذاهب وضمن الطائفة الواحدة، وذلك عندما تدّعي جماعة ما أنّها تملك الحقيقة المطلقة، فتعطي لنفسها تحديد من يوصفوا بالمؤمنين ومن يوصفوا بالكافرين.

إنّ تجربة الغرب مع التكفير مؤلمة بكل وقائعها، فهي حاضرة بشكل جلي خلال القرون الوسطى، عندما قدّمت الكنيسة المسيحية عبر تاريخ طويل أبرز مثال لاستغلال الدين، وممارسة الظلم بإسمه وتحت شعاراته، حيث ارتكبت أخطاء فادحة، بتحريفها لحقائق الوحي الإلهي وخلطها بكلام البشر، والخرافات الوثنية، وجعلها عقائد إلهية تدخل في صلب الدين وصميمه، وعدّت الكفر بها كفراً بالوحي والدين. ومن ثم راحت تُنشئ محاكم التفتيش، لمساءلة الناس عن آرائهم في أمور الطبيعة والكون، ومعاقبة المخالف منهم، حيث يقدّر عدد من عاقبتهم هذه المحاكم 300.000 شخصٍ أحرق منهم 32.000 أحياءً، منهم على سبيل المثال، العالم الفلكي الإيطالي غاليلو غاليلي لأنه تمسّك بالقول أنّ الشمس هي مركز الكون خلافًا لما ورد في الكتاب المقدّس، سفر الجامعة 1:5: والشمس تشرق والشمس تغرب، ثم تسرع إلى مكانها ومنه تطلع.

هذا إلى جانب ما ارتكبته الكنيسة من أخطاء فادحة بحق مجتمعات عدّة، عندما رعت وباركت أو تغاضت عن ممارسات غربية، من طغيان وسيطرة استعمارية ، منها، ما مورس بحق الهنود الحمر، السكان الأصليون للأمريكيتين حين تعرضوا إلى ما يشبه الإبادة الجماعية. وما مورس بحقّ الأفارقة السود الذين كانت تغزوهم سفن الأوروبيين العسكرية والتجارية، وتصطادهم كالحيوانات دون رحمة أو شفقة،إلى جانب معاناة الشعوب الإسلامية خلال الحروب الصليبية، ومن ثم استعمارها في أعقاب سقوط الخلافة العثمانية، وما تخلل ذلك من اضطهاد وجور.

وتجربة التكفير في المجتمعات الإسلامية لا تقل ألمًا، فهي بدأت مع انشقاق جماعة الخوارج عن جيش الإمام علي(ع) في معركة صفين، رفضًا لسياسة الإمام في قبوله بالتحكيم، وإيقاف الحرب مع

جيش معاوية، إذ كان رأي الخوارج بأنّ الإمام قد بلغ مرحلة الكفر، وقد كتبوا إليه رسالة جاء فيها: "وَإِنْ شَهِدَتْ عَلَى نَفْسِكَ بِالْكُفْرِ وَاسْتَقْبَلْتَ التَّوْبَةَ نَظَرْنَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَإِلَّا فَقَدَ نَابَذْنَاكَ عَلَى سَوَاء". ومعهم، انطلق النهج التكفيري بين المسلمين، يحتكر الحقيقة ويصنّف البشر بين مؤمنين وكفّار، بين "مسلمين حقيقيين" وآخرين لا يُقْبَل إسلامهم، حتى وإن نطقوا بالشهادة والتزموا الطاعات، وأن يمارس بحقّهم عقاب الإلغاء وفق هذا التصنيف.

ومنذ ذلك التاريخ، والمجتمعات المسلمة تكوى بنار التّكفير، حيث يقُتل الآلاف من الأبرياء بذريعة الردّة عن الإسلام. إلى جانب ما يحصل بحق غير المسلمين من ممارسات للعنف والقتل واستباحة الأموال، والأعراض، تحت ذريعة أنّهم كفّار، ومشركين. وهذا ما كرّس الإنطباع بأنّ الإسلام هو دين عنف وكراهيّة، خلافًا لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}[6].

إذ ليس هنالك شيء بعد الشرك باللّه تعالى، أسوأ من الظلم والإعتداء على حقوق الناس، وإن أبشع أشكال الظلم وأفظعها ما يكون باسم الدين، فهو تحدٍّ وافتراء على اللّه تعالى، وبغي على عباده كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[7].

فبات من الموضوعية القول، إنّ أكثر المواقف السلبية أو الملتبسة اتجاه الدين، سواءً في الماضي أو الحاضر، في الغرب والشرق، إنّما هي تتصل بممارسات خاطئة قامت بها – ولا تزال– مؤسسات وجماعات وأفراد تدّعي الانتماء لدين سماوي، وتقدم نفسها بوصفها تملك الحقيقة المطلقة وترى فيما تمارسه كونه واجب لحفظ الدين ونشره، على الرغم مما تحدثه من تشوّهات بصورة الدين. وما بروز النزعات الإلحادية وتياراتها، وشياع المقولة بأن الدين أفيون الشعوب، والتسابق نحو العلمانيّة للحد من حضور الدين في الانتظام الاجتماعي، إلّا انعكاسات لما عانته البشرية من ألوان الظلم بإسم الدين. وهذا ما زاد من القناعة بأن النهج التكفيري هو ليس من العناصر الطبيعية في الحياة الاجتماعية، بل هو دخيل بفعل عوامل أتاحت له الحضور، وإذا ما انتفت هذه العوامل فإنّه سيؤول إلى حتميّة نهايته.

---

[6] القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 107.

[7] القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 28.

المسألة الرابعة: حول حتميّة نهاية التكفير

يقود البحث في تعيين كيفية انتهاء النهج التكفيري، إلى ضرورة تعيين العوامل التي أسهمت في انطلاقته. والبداية، مع تبيان التمايز بين الفكر الذي يستمد قوته من السيف، وبين الفكر الذي يستعين بالسيف ليحمي قوّته.

فالفكر القوي يملك الحقيقة التي تجعله قويًّا بذاته، لا يحوجه الإستعانة بقوّة السيف والسلطان ليقدّم نفسه، وإن احتاجها، إنّما فقط بحدود الدفاع أمام محاولات الإلغاء. ولكن، حين تتقدم سطوة السيف على طرح الفكر فهذا يعني أنّ الأخير ضعيف، وليس بحقيقة، وأنّه مجرد أداة لخدمة السلطان الذي يحسن إستغلال ميل البشر للإنقياد نحو من يفرض قوته في الواقع، فالبشر– على الأغلب – يتعاطفون مع الضعيف، يشفقون عليه، يحنّون عليه، لكنّهم لا يراهنون عليه، بل يميلون في انقيادهم نحو القويّ، حيث يقدّمون له فروض الطاعة، التي تصل إلى حدّ الإعتقاد بأفكاره وتقديسها، والإستعداد للموت في سبيلها.

تبدو هذه المنهجية بوضوح جليّ، من خلال رصد المسار الذي سلكته الحركات التكفيرية في تطويعها للإرادة البشرية، حيث تشترك في السمات الأساسية الآتية:

السمة الأولى: تكشف منهجية الحركات التكفيرية على اختلاف أشكالها ومنابتها، في اليهودية والمسيحية والإسلام، في الماضي والحاضر، أنّها تتوسّل السيف وقوّة السلطان في طرح أفكارها

وتحقيق غلبتها. فهي تعتمد التهديد والوعيد وممارسة الإلغاء عند طرحها لقناعاتها، في محاولة منها لإرهاب الآخر بغية الحصول منه على المطواعيّة. والتاريخ حافل بالشواهد على ذلك.

فمنذ قرون طويلة من الزمن وإلى الآن، تعمل المنظومات التكفيريّة على إبرام عقد نفعيّ ما بينها وبين السلطان، حيث يتّحدوا قبالة العامة من الناس لإخضاعهم، وإذا ما خرج أحدهم عن فروض الطاعة كان نفيه من الحياة يتم بإسم الله وفي سبيله. حصل ذلك في المسيحية، ولا يزال هذا المنهاج ماثل أمامنا حتى يومنا الحاضر في العالم الإسلامي.

السمة الثانية: بالتأكيد إن هذه السمة تتصل بسابقتها، فالنفوذ التكفيري الذي بلغ مستوياته الحادة، لم تكن مسوّغاته مستمدة من أصول الأديان السماوية، لأن تلك الأصول لا تحوي نهجًا إلغائيًا،{قل يا أيها الكافرون..... لكم دينكم ولي دين}[8]. وشكّل فقدان دعاة هذا النهج الاتصال بمنابع الحقيقة المطلقة في ظلّ ادعائهم النطق بإسم الدين الحق، ذهابهم نحو تحريف الرسالة السماوية من خلال تحميلها ما لم تأت به، بل بما يناقضها في كثير من الموضوعات، ولم يبتعد انصياع الناس لهذا الفكر المنحرف عن رهبة السيف وبطشه، حتى أمكن القول، إنّ البشرية قد شهدت ولادة دين مسيحي يختلف عما جاء به نبي الله عيسى ابن مريم، وإسلامٍ مختلفٍ عمّا جاء به رسول الله محمد(ص).

هذا ما وجدناه على ألسنة قساوسة ورهبان ورجال دين وفكر، من إجابات لأسئلة يطرحها الإنسان في فهمه لوجوده وللكون وللآخر، حيث أطلقت كم هائل من الوصايا والتعاليم والأحاديث المختلقة، والتفسيرات الباطلة والملتبسة، التي تصب في خدمة تسويغ نهجهم المنغلق والإلغائي، بغية إلباسها صفة القداسة. فمن خلال الاطلاع على ما أفاضت به تلك الألسن، يبرز كلام نسب إلى الخالق قد تبيّن بطلانه في حقيقة الخلق، ووجود آلاف الأحاديث التي باتت تعدّ من السنّة النبوية الشريفة ومصدرًا أساسيًا للتشريع في الدين الإسلامي، بينما الرسول منها براء.

هذه السمات التي سوّغت للنهج التكفيري أن يفرض نفسه على ساحة الحياة، هي في الوقت نفسه تستبطن مسوغات نهايته الحتميّة، باعتبار أنّ مجريات التاريخ تحكمها سنن واضحة المعالم، كاتصال المعلول بالعلّة، والنتائج بالمقدمات، فأي تغير بالمقدمات سيتبعه تغير بالنتائج. فهذه النهاية الحتمية، قد بدأت فعليًا مع سقوط المنظومة التي حكمت العقل البشري بإسم الدين في أوروبا

[8] القرآن الكريم، سورة الكافرون.

طيلة القرون الوسطى، فهذه المنظومة التي قدّر لها أن تقبض على مدخلات ومخرجات العقل الجمعي في تلك البلاد منذ بدايات القرن الرابع للميلاد حيث أمكنتها امتيازات السلطة الملكية من ذلك، فقد تداعى نفوذها الإلغائي في القرن الثامن عشر، إثر تراكم عدّة عوامل، كان أهمها الثورة التي أطاحت بالسلطة الملكية، وهذا ما أفقد جماعة (الإكليروس) الشريان الأساس الذي استمدوا منه سلطتهم في تطويع عقول الناس وإرادتهم. فلو كان اتصال فكر هذه الجماعة بالحق المطلق لبقي قويًّا وثابتًا لا يتزعزع، ولكنّ، اتصالهم بالمحدود أصابهم بما لديه من وهن وضعف، بوصفهم من علائقه.

وربما يسأل البعض، عن الموضوعية في القول بأن النهاية التي بلغها النهج التكفيري الإلغائي في الغرب المسيحي ستمتد حتمًا إلى هذا النهج في بلاد المسلمين؟

تبدأ الإجابة عن هذا السؤال من لحاظ مسار النهج التكفيري في كل من المسيحية والإسلام وما بينهما من سمات مشتركة، حيث تعدّ مسوغات موضوعية لنفس النهايات والمصير. فكلاهما استند إلى الإرهاب الفكري والعملي وقوة السلطان في الاستحصال على المطواعيّة من قبل العامة من الناس، وكلاهما افتقد إلى الحقيقة الكاملة فراح يسقط على الدين أفكارًا وتشريعات لا تمت إليه بصلة، ولذلك، لمّا تفقد هذه المنظومة التكفيرية قوة السيف وعون السلطان، ولمّا يتبيّن بطلان التشريعات والأفكار التي ألبست ثوب القداسة، عندها ستسقط هذه المنظومة وتتهاوى. حدث هذا في المسيحية ولاحت بشائره في بلاد المسلمين.

مؤخرًا، اعترف زعيم الكنيسة المسيحية بأخطاء الماضي، وطلب الصفح والمغفرة عن ذلك التاريخ المظلم، إذ أعلن في آذار العام 2000م، عن يوم للتسامح وعرض لمذكرة أعدها ثمانية قساوسة تضمنت أخطاء الكنيسة ومسؤوليتها عن العنف والصراع المذهبي، وحدّة التفرقة التي حصلت بين أتباع الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، بين أتباع الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية.

وحاليًا، يشهد العالم الإسلامي تحولات كبرى على مستوى العلاقة بين مكوناته، فطيلة قرون خلت كانت الحاكميّة مطلقة لصالح البيئة الحاضنة لجماعة التكفير، وهي المسببة في آن لنمو ما يعانيه هذا العالم من نزعة إلغائية. صحيح، أنّه من المؤسف الحديث عن غلبة السيف كمعيار أساسي في العلاقة بين جماعة المسلمين، لكن الحقائق فرضت ذلك، فقوة السيف والسلطان لا قوة الحجة والبرهان هي ما استند إليها فريق من المسلمين كي يتسيّد على فريق آخر، فمارس التهميش والإلغاء بحقه، بعد أن أسقط عنه انتماءه للإسلام.

بكل موضوعية، لقد أثبتت حقائق التاريخ لا دسائسه، أن الجرأة في تكفير المسلم كانت على الدوام حجتها ضعيفة وهزيلة وباطلة، ولم تكن غاياتها حفظ الدين، بل كانت لصالح جماعة السلطان والرياسة والغلبة. ولطالما شكّل ضعف المسلم الآخر المخالف، عامل إغراء لجماعة الغلبة فأوهمها ذلك أنها على حق وأن هذه الفرق المسلمة المخالفة على باطل، فاستسهلت تكفيرها وإخراجها من الدين.

وما كان للتاريخ أن يغيّر في مساره هذا، إلّا عندما بدأت جماعة التكفير والإلغاء تدرك الهزيمة تلو الأخرى من خلال وقائع الميدان وعلى يد الجماعات التي كفّروها، فصار التكفير وجماعته في واقع مأزوم، يسأل بعضهم بعضًا، هل تخلّى الله عنّا؟

في الحقيقة، إن الله لم يكن يؤيدهم حتى تخلّى عنهم، بل إنه تعالى يسيّر الكون وفق سنن واضحة المعالم، فالغلبة التي يجاهر بها جماعة التكفير لم تكن مددًا من الله، بل أتت من المسلمين الذي نسوا نصرة الله فألبسهم ثوب الذل حتى عميت قلوبهم عن رؤية الحقيقة، وكان عليهم أن يتيهوا قرابة أربعة عشر قرنًا، حتى عاد وخرج من بينهم أناس أخذوا بمصادر القوة واستضاءوا بنور الحقيقة فكان على الله نصرتهم.

لذلك صار من البصيرة القول، أنّنا نعيش إرهاصات السقوط المدوي للفكر الإلغائي التكفيري، بعدما فقد هذا الفكر شريان قوة الغلبة الذي مده بعوامل الاستمرار والحضور والفاعلية، فمع التوازن في العلاقات بين المسلمين يمكن الحديث هنا عن مجتمع إسلامي يعيش التنوع في مناخ من الحرية في الحوار، وبعيدًا عن لغة الإقصاء والإلغاء. ومن البصيرة أيضًا، القول بأنه ليس من باب الصدف التاريخية أنّ النهج التكفيري في المجتمع الإسلامي الذي بدأ مع الجماعة التي سبق لها أن كفّرت أمير المؤمنين الإمام علي ابن أبي طالب(ع)، وأهدرت دمه، ستكون نهايته من خلال العودة عن تلك الخطيئة القاتلة، وفتح صفحة جديدة مع الذين يوالون الإمام.

✓ الجلسة الثالثة: بناء استراتيجية المحافظة على الهوية الإسلامية

✓ كلمة فضيلة الشيخ يوسف سرور مدير مركز التوجيه والإرشاد الأسري.

" تأصيل مركزية الأسرة في المجتمع وترسيخ وظائفها الأساسية وفق النموذج الإسلامي"

أ- مدخل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"(النساء1).

يتضح لنا، من خلال الآية الشريفة أنّ الله تعالى جعل تكوين الأسرة سبباً للمنّة، وداعياً الى التزام طاعة الله، باعتبار أنّ الأسرة اطار يجبر ضعف الإنسان الفرد، وحصناً يقي من الإنكشاف التام أمام تصاريف الدهر وتقلبات الحياة، بتقلب الليل والنهار، وجعل حفظ الرحم والتواصي به والتواصل مع ذويه، حصناً صافياً، مصداقاً شافياً من مصاديق تقوى الله والتزام طاعته.

ب- مركزية الأسرة في المجتمع الاسلامي:

"وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (الروم 21).

عن النّبي"ص" : " ما بُني بناء في الاسلام أحبّ الى الله من التزويج".

جعل الإسلام العقد الحلال مدخلاً الى إنشاء الأسرة، وتكوين الخليّة المركزية في المجتمع، وتحمّل المسؤوليات تجاه الزوجة من قبل الزوج، وتجاه الزوج من قبل الزوجة، وتجاه الأخ من جهة أخيه، والعكس صحيح، إنّما ركز الاسلام على أهمية سلوك الاتجاه الذي يعزز العلاقات بين الأفراد، لترسيخ شعورهم بالانتساب الى هذه الأسرة.

والمطلوب هو العمل على بيان أهمية موقع كل فرد من أفراد الأسرة، وضرورة فهم جميع الأإراد الموقع الذي يشغله كلٌّ منهم وعلاقته بالمواقع الأخرى.

والمطلوب أيضاً تزخيم الفعاليات الباعثة على تكريس القيم الأصيلة في الأسرة، كحمل المسؤولية من قبل الأبوين، وبيان قداسة العلاقة الزوجية، وإظهار قيم البر للوالدين واحترام الكبير والتصدي للتربية على القيم...

ويجب السعي في سبيل استعادة شبكة الأمان التي تساهم فيها الأقارب والأرحام والجيران،...

ج- عمل الاسلام على مساعدة أفراد الأسرة في تحديد وظيفة كلٍّ منهم بما يساعد في إنتاج أأراد فاعلاين ومنتجين وصالحين، بما يؤمّن كرامة الفرد في الدارين فحدّد واجبات الأب والأم وحقوقهما،

وكذلك بقية أفراد الأسرة، لما من شأنه أن يخلق مناخاً تسوده الإلفة والمحبة والطمأنينة والأمان والاستقرار والإحترام والتقدير.

- من اللازم إستعادة كل أفراد الأسرة أأدوارهم، ومما يساهم في ذلك:
- الرجوع الى القيم الصيلة.
- التربية بالقدوة الحسنة.
- تفعيل السلوك الرحمي في الأسرة الصغيرة والكبيرة.
- عدم الإصغاء للمواد والبرامج والدعايات التي تدعو المرأة الى التمرد على القيم.

يجب أن يفهم الجميع أنّ الأسرة بذاتها مستهدفة وكلّ افرادها مستهدفون بأدوارهم، وإن كان يجري التركيز أحياناً على المرأة.

✓ كلمة الدكتور عباس مزنر (استاذ جامعي)

الإرتقاء بوسائل الإعلام الإسلامية في مختلف برامجها لتقديم الصورة الناصعة للهوية الاسلامية.

الهويه الإماميه وبرامج الإحياء:

تتعدد تعريفات الهوية عند علماء الاجتماع وغيرهم، البعض منهم يؤكد على أنّها نسيج لامركزي من المعتقدات والرموز والاتجاهات والتوحدات... والبعض يؤكد أنّها متناقضة وتتصارع مع بعضها البعض، ويزيح بعضها بعضاً لكي لا تفرض هوية واحدة سيطرتها على بقية الهويات كما يقول « « Barker.[9]

البعض الآخر يصر على السياقات التاريخية[10] والثقافية ودور اللغة في عملية تكوين الهوية[11] وبالتالي لا يمكن الحديث عن عالمية الهوية الثابتة والجوهرية.

---

[9] Chris Barke

[10] الهويات.. والتفزة.

[11] الهويات.. والتفزة.

وهكذا يؤكد Foucault على دور السلطة والتحكم والسيطرة المنتجة للذات، كذلك يشير إلى دور المؤسسات والمحاكم والمنظمات والمستشفيات والسجون والممارسات الاجتماعية[12].

"Hall" من جهته يشير الى المنظور الجوهري للهوية في الذات والتاريخ والسلالة والرموز والحروب والطقوس والشعائر والأعياد والأخبار المذاعة كل مساء.

كذلك يرى آخرون أنّ وسائل الإعلام والإتصال تساهم بقوه في تعزيزهوية الأمّة وتوحدها، وهي تشجعنا كما يقولون على تخيل الوقوع المتزامن للأحداث عبر مساحات زمانية مكانية شاسعة، ولذا اعتبر Anderson أنّ الأمّة مجتمع متخيّل والهوية هي تكوين من خلال الرموز والطقوس.

وفي مطالعتنا نجدّ أنّ المذهب الإمامي الجعفري غني بالأيديولوجية وبالرموز المقدسة والتاريخية. هذه الرموز تصل الأمة بالتاريخ، وتمتد نحو المستقبل الواعد والمشرق للظهور من خلال الولاية والإمامة، كما أنّ القادة وكبار العلماء والإعلام والشهداء العظام، كانوا ولا يزالون منارات الدرب منذ الفجر الأول للتاريخ في حياة هذه الأمة، وبالتحديد في حياة وأتباع الإسلام الأصيل (ويتم «إسقاط» الصور القدسية أو الهالة القدسية على هؤلاء الأعلام والقادة وأرباب المذهب الإمامي الحسيني أو العلوي...).

كذلك تميز هذا المذهب بصلته الوثيقة بالتاريخ والرموز الامامية (وهي مندكة تماماً في العقيدة والتوحيد).[13]

[12] م.ن.

[13] السيد الجليل السيد علي القاضي (رض).

الإعلام والإحياءات والاحتفالات ودورها في تعزيز الهوية:

إنّ الإحتفالات التذكارية واحدة من وسائل توجيه الإنتباه العام لحدث ما عبر إنشاء خبرة عاطفية جمعية.

إنّ «تحقيق وصيانة ذاكرة جمعية أو تاريخية، يشمل الكلام والتفكر المتواصلين حول الحدث من جانب الأعضاء المتأثرين في المجتمع والثقافة».[14]

كذلك كانت الاحتفالات بالتاريخ الحديث ومتغيراته الكبرى (ذكرى انتصار الحلفاء على ألمانيا في الحرب العالمية الثانية).

«تحاول أن تسبك وتسهّل تخليق هويات جمعية، لتثبت أو تعزز دلالة اجتماعية وسياسية»، أو أنّها «تخدم غايات سياسية وأيديولوجية معينة».[15]

وبالطبع فإنّ الإحياء قد يتضمن تكراراً لما يشابهه، لكن الإحتفالات تبقى شاهداً دائماً على حقيقة أنّ «الحدث كان حدثاً حقيقياً بشحنة عاطفية حقيقية وأهمية حقيقية(...)»، فهي تضع الحدث وتأويلاته فوق التأويلات الذاتية لتكرسه «كحقيقة موضوعية في العالم».[16]

وهنا نشير إلى أنّ الإرتباط الروحي والغيبي والعقيدي يجعل الأحداث خاصة الإحتفالات الدينية (أو الثورية ذات الإطار المرجعي الديني) فوق كل شك وارتياب...، وهكذا تم أدلجة أحداث 11 أيلول و«الربيع العربي» وأصبحت الإحتفالات المصاحبة مفعمه بخطاب سياسي أيديولوجي كما يقول Barker .

لقد ارتبطت الإحياءات المتلفزة للتاريخ الإمامي المتصل بالواقع السياسي والإجتماعي بالإضطهاد والمظلومية التاريخية المشبعة بسفك الدماء وقتل العلماء والقادة ومحاولات منع إقامة الشعائر والإحياءات والمراسم... الدينية وحتى غير الدينية.

ولذا فإنّ الإحياءات والإحتفالات التذكارية والتاريخية التي تظهر اليوم في وسائل الإعلام والوسائط الاجتماعية يتمّ فيها الدمج بين المناسك والشعائر، وبين الخطاب الثوري والمؤدلج، ويتمّ الدمج بين الزمني والغيبي (يحضر خطاب سماحة السيد حسن نصرالله الأمين العام لحزب الله بقوة في مراسم

[14] C.Teleaga علم النفس السيثاسي ترجمة أسامة الغزولي (2016) عالم المعرفة. 150.
[15] م.ن.
[16] م.ن.

الإحياء العاشورائي وعند التحديات الكبرى والمصيرية ليترجم بداية تاريخ المظلومية والإقتدار للطائفة [17] الذي شكل جوهر هويتها [18]).

هذا الإحياء للتاريخ الذي لا ينفصل عن الواقع والتحديات الوجودية يظهر بقوة في خطاب القائد والولي الفقيه وفي احتفالات مماثلة ليوم الشهيد أو للانتفاضات والأحداث التاريخية[19] التي تشكلت فيها الهوية الثورية والجهادية لهذه الأمة.

على سبيل المثال كانت ذكرى 15 خرداد عام 1963 ذكرى انتفاضة قمعت بقسوة لا هوادة فيها «ولا سابقة لها في تاريخ إيران» والتي كان لها تبعات تاريخية أحيت الثورة الإسلامية في إيران كما يقول الإمام (رض).[20]

والخطاب الثوري للإمام كان له الأثر العظيم في صناعة وإحياء هذا التاريخ.[21]

وتأتي الأحداث المرافقة من اعتقال الإمام، ثمّ الإضطرار لإطلاق سراحه إلى تأجيج روح الثورة والذاكرة الجمعية التاريخية، التي عزّزت روح الثورة وروح الشهادة والفداء والإقتدار،التي وسمت الهوية الثورية بعد 15 خرداد في إيران.

هذه الإحتفالات والإحياءات المتواصلة للتاريخ لا تنفصل عن الخطاب الديني والغيبي الثوري، وتميزت بآثارها العميقة في الوعي والوجدان الجمعي الإمامي، وتؤدي إلى انصهار الجماعات الموالية انصهاراً وتماهياً عظيماً، يؤدي إلى التماسك والتوحد والاستعداد للتضحية والفداء (تعزيز الثقافة المسماة الاستراتيجية للمذهب) .

إنّ «الخبرة والعاطفة والولاء والهوية والأيديولوجيا كلها مفاتيح يعاد إحياؤها على الصعيد الفردي والجمعي في خطاب ولغة الإحياء».

---

[17] الحيدري، إبراهيم «تراجيديا كربلاء»، دار الساقي.

[18] الكثير من الهويات قام على «أساس الاستضعاف التاريخي والظلم والجور الذي لحق بها ولا يزال حتى اليوم» (During 243) الدراسات النفسانية، عالم المعرفة.

*[19] وقد تم ترجمة وتدوين سلسلة الأحداث التاريخية بل مجموعة من الروايات والأفلام الوثائقية التي خلّدت هذا التاريخ.

[20] محمد شفيعي مرّ «الأسس الفكرية للثورة الإسلامية الإيرانية»، مركز الحضارة للتنمية، ترجمة الشيخ الدكتور محمد حسن زراقط، 2007، بيروت.

[21] During.

<u>البيان الختامي للمؤتمر</u> : (تلته معاونة م. وحدة الهيئات النسائية الحاجة هدى مرمر)

1. التأكيد على معالجة المعضلات المتعلقة بالهوية والتي ذكرها رئيس المجلس التنفيذي سماحة السيّد هاشم صفي الدين في كلمته في افتتاح هذا المؤتمر من: تحديد المرجعيات، معرفة المعايير ومعرفة الحق (اعرف الحق تعرف أهله)، الوعي الثقافي والفقهي، الوعي الحضاري والسياسي، الأصالة والثقة بالدين.
2. الاعتزاز العام بالهوية الإسلامية وبهذا الدين والسعي إلى نشره في الآفاق.
3. تحقيق وسائل الحفاظ على الهوية الإسلامية، عبر بيان الأبعاد الحقيقية لها، بما ينسجم مع القرآن الكريم والتجربة النبوية والأهل بيتية وتجربة الثورة الاسلامية.
4. تربية النشء على الهوية الإسلامية تربية متأصلة، وربطه بتاريخه ولغته وعقيدته، وغرس معاني العزة والإفتخار بانتمائه للإسلام. فالتنشئة الصحيحة هي أول عملية في التربية على الهوية الإسلامية.

5. التصدي لنوافذ وأبواب الفساد، وذلك عبر تحصين مجتمعنا ومؤسساتنا، ومن خلال التوجه نحو الفهم الصحيح لأبعاد الهوية الاسلامية، وللاسلام المحمدي الأصيل.
6. إنشاء مراكز أبحاث ودراسات تعمل على تأصيل الهوية الاسلامية، وتقترح وسائل لتحصين المجتمع من الغزو الفكري الذي يستهدف طمس هويته وتذويب شخصيته.
7. العمل على برامج توعوية، تربوية، اجتماعية، نفسية، سياسية، ودينية وذلك بناءاً لتقصٍ

مسبق لاحتياجات شبابنا ،والانتباه إلى القيم والنماذج التي تحاول التسلل الى بيوتنا من خلال المناهج المدرسية والجامعية، والبرامج الإعلامية، وغيرها .

8. التأكيد على اختيار النموذج القدوة، لكونه يشكل نقطة انطلاق في المحافظة على الهوية الإسلامية والتخلص من مظاهر الانحلال والفساد.
9. العمل على نشر التاريخ الإسلامي الصحيح، وتبسيطه وتقريبه للناشئة وللناس ككل، واستخدام جميع الوسائل الممكنة لابراز تاريخ الاسلام ورجالاته، والرد على الشبهات المثارة حوله.
10. كشف سماسرة التغريب ودعاته ومروجيه، وفضح علاقاتهم وأساليبهم في طمس الهوية الإسلامية والتحذير منهم.
11. إعطاء العناية اللازمة والكافية للقرآن الكريم (قراءة وتدبراً وعملاً،...)، والعناية باللغة العربية لغة القرآن، وتعليمها والتحدث بها وتربية النشء على حبها.
12. التصدي لمحاولات استغلال قضية تحرير المرأة المزعومة، لإبعادها عن دينها وهويتها الاسلامية، من خلال المصطلحات الوافدة إلينا من تمكين المرأة، الجندر، والزواج المدني... وغيرها من المصطلحات.
13. الحدّ من التلوث الثقافي والإعلامي الموجه للأمّة الإسلامية ككل، ومجتمعنا بشكل خاص، من خلال تكثيف البرامج التوجيهيَّة، لا سيما في وسائل الإعلام ، وزرع الثقة في قلوب المسلمين بالإعتزاز بدينهم وعقيدتهم.
14. تعزيز المسؤولية الاجتماعية، وتفعيل الأدوار الاجتماعية بمختلف أبعادها سواء داخل المنزل، العمل، أو المجتمع لمعالجة مظاهر الإغتراب عند الشباب.
15. تزخيم الفعاليات الباعثة على تكريس القيم الأصيلة في الأسرة، كحمل المسؤولية من قبل الأبوين، وبيان قداسة العلاقة الزوجية، واظهار قيم البر للوالدين، واحترام الكبير، واستعادة شبكة الأمان التي يساهم فيها الأقارب والأرحام.
16. العمل على تضافر الجهود من أجل حفظ الأسرة ومواجهة استهدافها.
17. تعزيز ثقافة الاقتدار والمقاومة ، ثقافة الوعد الالهي، والهوية الإمامية والجعفرية والحسينية والهوية المقاوِمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين